معاملة غير المسلمين
الحوار والتسامح في الاسلام
شواهد من التاريخ

تأليف الدكتور محمد علي البار

دار القلم دمشق

الطبعة الأولى 1425هـ / 2004م

المقدمة

لقد تميزت تعاليم الإسلام بالسماحة مع الملل الآخرى ، وخاصة مع أهل الكتاب . قال تعالى : {**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**} [البقرة: 256] ، وقال تعالى : {**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** } [الكهف :29]

الحوار في القرآن :

والقرآن كله كتاب حوار مع أهل الكتاب والمشركين والمنافقين ومختلف أهل الملل والنّحل ، بل إن الحوار امتد الى الملائكة المكرمين ، قال تعالى :{ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32)** } [البقرة : 30-32].

بل ان الحوار اتصل مع ابليس الذي ملأ قلبه الكبر والحقد والغرور ، فأبى ان يكون مع الملائكة المقربين الذين سجدوا لآدم حينما أمرهم بذلك رب العالمين ، قال تعالى {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(83)**} [ص:71-83].

وقد وردت قصة ابليس اللعين في سور عديدة ، منها : سورة البقرة ، وسورة الاعراف ، وسورة الحجر ، وسورة ص، وكلها توضح استكبار ابليس عن السجود لآدم عليه السلام رغم أنه كان من كبار العباد ، ولم يكن يوما مشركا بالله ، بل كان في حواره مقرا لله بالربوبية وبالألوهية ، وطلب منه ان يبقيه الى يوم يبعثون معترفا بعزته وجلاله سبحانه وتعالى . ولكن الكبر منعه من السجود لآدم ورأى انه خير منه **{خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ }** [الأعراف :12] .. ولم يرَ التكريم بالنفخة والعلم .. والسجود لآدم في ذلك الموضع سجود لله الذي أمر بذلك ، فأورده ذلك الكبر والغرور المهالك .

وهذا الكبر والغرور وكلمة {**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ** } هي التي دفعت ابليس ومن بعده من كبراء القوم وعليتهم في أن يردّوا على الانبياء والمرسلين دعوتهم ، محتقرين لهم ولأتباعهم : {**مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ** }[هود :27] ، والحقد والكبر والعجب والغرور هي الأمراض التي ابتلى بها ابليس ، والنمرود ، وفرعون ، وأقوام نوح وابراهيم ... الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين .

وكل هؤلاء الكبراء كانوا يعلمون علم اليقين صدق هؤلاء الرسل { **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ** }[النمل :14] ، { **يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** }[البقرة 146].. ولكن الكبر والغرور والحقد والحسد يأبى على هؤلاء الكبراء وعليه القوم أن يتواضعوا ويتبعوا المرسلين، { **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**} [الزخرف:31] ، فكان الكبر والعجب والبطر والحسد هي الآفات التي منعتهم من قبول الحقّ ، رغم معرفتهم له ، وأما من كانت على عيونهم غشاوة ، فإنها قد زالت بفضل الله سبحانه وتعالى ، وبفضل المنهج الحواري الهادي الذي جاء به الرسل جميعا واتضح بأجلى صورة في القرآن الكريم ، حتى تبين لهم أنه الحقّ فدخلوا في دين الله أفواجا.

وانظر الى لغة الحوار السامقة العالية في مخاطبة المشركين { **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ** }[سبأ :24-26] ، حيث يقف المؤمنون والكافرون في مستوى واحد عند بداية الحوار : تفكروا أيّنا على الحقّ والهدى .. ولعل بعضنا على هدى ، ولعل الاخرين في ضلال مبين . ثم انظر الى التعبير الراقي { **قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ** }[سبأ :25] ، فإن كنتم تعتبرون عملنا هذا جريمة فسيحاسبنا الله على جرائمنا ، ولا نسأل نحن عما تفعلون ، ولم يقل عما تجرمون مع انهم هم المجرمون حقا ، ولكن الله تلطف بهم وجعل عملهم مما سيحاسبون عليه دون أن يصمه بالاجرام.

ووصف لنا المولى سبحانه وتعالى كيف وجه موسى وأخاه هارون عليهما السلام الى فرعون الطاغية الجبار مدعي الألوهية ، فقال لهما : {**اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ** (43)**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** }[طه:43-44] .

وأمر المؤمنين بما أمر به الرسل من ليّن الكلام وعدم سب آلهة الكفار الباطلة ، قال

تعالى :{ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }[الانعام: 108].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بالدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة: {**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**} [النحل:125].

وقال تعالى :{ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** }[العنكبوت :46].

وهو يثير مع أهل الكتاب قواعد الايمان المشتركة بيننا وبينهم ، وأن الروابط ممتدة عبر القرون المتطاولة لتصل بنا الى جميع الانبياء والمرسلين من آدم ونوح الى محمد خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في سلسلة متصلة من أنبياء الله الكرام ، قال تعالى :{ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ** }[البقرة :136-139].

وقال تعالى لنبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: {**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** }[آل عمران : 84].

ووصف لنا المولى سبحانه وتعالى إيمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، فقال عز من قائل :{ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** }[البقرة:285].

ويعلن المولى سبحانه وتعالى ان من آمن من اليهود والنصارى والصابئة وعمل صالحا فإنه من أهل الجنة ورضوان الله ، قال تعالى :{ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ**

يَحْزَنُونَ }[المائدة :69] ، وقال تعالى :{ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** }[البقرة :62].

وتكاد الآيتان في سورتي البقرة والمائدة تتطابقان لو لا اختلاف طفيف في نصب الصابئين أو رفعهما ، حيث رفع (الصابئون) على الابتداء على تقدير : (والصابئون كذلك) .

فمن آمن من هذه الفرق واتبع نبيه ، عمل صالحا ، فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ومن بقي إلى الزمن الذي يظهر فيه خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم ، فعليه أن يؤمن به لأن الانبياء جميعا أبناء علّات ، ما جاؤوا الا برسالة واحدة . ولو كان موسى أو عيسى حيّا ما كان له إلا أن يتبع نبي الهدى والرحمة خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم .. وأما من أبى من هؤلاء القوم الذين عرفوا الحق فأنكروه ، فإن القرآن يوجهنا الى معاملتهم بالحسنى ، ومجادلتهم بالتي هي احسن . رغم حقدهم علينا واجتهادهم الشديد في تحويلنا الى الكفر مرة آخرى ، قال تعالى :{ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** }[البقرة:109].

وجعل المولى بيننا وبينهم الموعد يوم القيامة ، حيث يفصل بيننا وبينهم ، قال تعالى:{ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** }[الحج :17].

فآية الحج هذه جمعت أصحاب الملل والنحل كلهم وجعلتهم يقفون جميعا في ذلك الموقف الرهيب يوم القيامة حيث يفصل الله بين العباد.. {**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** }[آل عمران:185] ، {**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** }[فصلت:35].

والحوار مع أهل الكتاب يمتد عبر آيات كثيرة يشتد بصورة خاصة مع يهود ، الذين كادوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وحاولوا اغتياله مرارا وسحروه وسمّوه ، وألّبوا المشركين عليه ، وتآمروا مع المنافقين لتفويق المسلمين وتشتيت كلمتهم . ومع ذلك يشيد القرآن بنفر كريم منهم ، وإن كانوا قلّة ، لوقوفهم مع الحقّ وثباتهم عليه ، ومنهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، ومنهم مخيريق خير يهود كما وصفه المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالى: {**لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**) }[آل عمران:113-115] ، وقال تعالى :{ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** }[آل عمران :199] ، وقال تعالى سبحانه وتعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبا قريش والمشركين وأهل الكتاب:{ **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (9) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** }[الاحقاف:9-10].

وهكذا يوضح لهم رب العزة أن محمدا رسوله ومجتباه وخيرته من خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ليس بدعا من الرسل، وإنما هو ختام هذه السلسلة الكريمة من الانبياء والمرسلين ، ومع ذلك لا يعلم الغيب ولا يدري ما يُفعل به ولا بهم ، وانما هو عبد من عباد الله (وإن كان خيرهم وأفضلهم) لا يأتي بشيء من عنده ، بل يتبع ما أوحي اليه من ربه ، ويأتي التنبيه الى خطورة التكذيب وهو من عند الله ، وكيف أن عالم بني اسرائيل وحبرهم قد آمن ، وأنتم لا تزالون تستكبرون وتصدّون ، فقد آمن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأرضاه ، وكان عالم يهود وحبرهم ومرجعهم ، فلما آمن سبوّه وبهتوّه.

وفرّق القرآن الكريم بين اليهود الذين هم أشدّ عداوة للذين آمنوا ، والنصارى الذين منهم قسّيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، قال تعالى:{ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** (82) **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** (83) **وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ** (84) **فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ** }[المائدة :82-85].

وقد نزلت هذه الايات الكريمات في وفد النجاشي من النصارى الذين وفدوا على

المدينة واسلموّا ، كما اسلم النجاشي رضي الله عنه من قبل ، حتى صلّى عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم وفاته قبل ان يأتي نعيه ، وقال لهم : قوموا صلوا على أخيكم.

نعم النجاشي كان مؤمنا ، وليس كل النصارى على هذه الشاكلة ، بل ان كثيرا منهم مالؤوا اليهود رغم ما بينهم من عداوات وإحن ضد المسلمين في كل زمان ومكان ، ومواقف الفرنجة على مدى التاريخ مواقف معادية أشدّ المعاداة للمسلمين على نقيض ما كان بين المسلمين ونصارى الحبشة أو نصارى نجران ، أو نصارى الشام من العرب ، أو نصارى مصر من القبط ، فهؤلاء جميعا كانت علاقتهم بالمسلمين تمتاز بالمودّة وحسن الصلة ، فقد أحسن اليهم المسلمون ، وتزوجوا منهم وصاهروهم – وسيأتي بيان ذلك – وأما نصارى الفرنجة والروم ، فقد حاربوا المسلمين وذبحوهم في الحروب الصليبية وقتلوا النساء والاطفال ، وبلغت الدماء الى عنان الخيل ولجمها في المسجد الاقصى حين دخلوا بيت المقدس في الحروب الصليبية .. ومجازرهم للمسلمين في الاندلس تملأ الاسفار ، ولم يرعوا عهدا ولا ذمة ولم يوفوا في نقض العهود أي غضاضة ، بل ان البابا كان يحضّهم على ذلك ، ويبيح لهم قتل النساء والأطفال والشيوخ . بل ان عدد من قتلهم الفرنسيون في الجزائر – منذ دخولهم إياها وحتى خروجهم منها بعد أكثر من قرن من الزمان عام 1962م – بلغ ثمانية ملايين مسلم جزائري.

لهذا كله حذّرنا الله سبحانه وتعالى من كيد يهود المتحالفين مع النصارى ، قال عز من قائل :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ** }[المائدة :51-52] ، ولكأنما تتحدث الآيات الكريمات عن الأوضاع اليوم ، حيث يتآمر اليهود والأمريكان على المسلمين في فلسطين وفي العراق وفي كل مكان ، وحيث يرتعب المنافقون قائلين:{ **نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ** } فيمالؤون يهود ، وبوش الابن ، وطغمته من المسيحيين المتصهينين المغالين في تعصّبهم وحقدهم على الاسلام والمسلمين ، حتى أعلنوها صراحة حربا صليبية ، وأن صراع الحضارات بين الغرب المسيحي والاسلام الارهابي البربري قد قامت ملاحمه ، ولا بد لهم من محاولة استئصال الاسلام وكتاب الاسلام ، وردّ المسلمين بعد ايمانهم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحقّ.

ومع ذلك فالقرآن الكريم كله حوار هادئ مع أهل الكتاب وخاصة مع النصارى ، قال تعالى : { **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ** (15)**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** }[المائدة: 15-16] . ولكن القرآن يجابههم أيضا بأنهم قد كفروا بقولهم : ان الله هو المسيح ابن مريم ، قال تعالى :{ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (17) **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** }[المائدة : 17-18] .

وفي السورة الكريمة نفسها يقرّر كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة . قال تعالى : { **قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (73) **أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (74) **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** }[المائدة :73-75].

ويقول المولى سبحانه وتعالى لهم:{ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا** (171)**لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا** }[النساء:171-172].

التحذير من الاماني الكاذبة:

ورغم ذلك كله يحذّر المؤمنين من الاماني الكاذبة تماما كما حذّر اليهود النصارى من تلك الاماني ومن الدعاوى بأنهم أبناء الله وأحباؤه . قال تعالى { **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** (123) **وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** }[النساء :123-124] ، فهو ميزان دقيق من العدل لا محاباة فيه لأحد ، فالخلق جميعا عبيده والكل ملكه ، ولا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح.

فلا محاباة لنصراني ولا يهودي بل ولا مسلم ... والميزان : من يعمل سوءا يجز به ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا . إنه ميزان العدل الذي قامت عليه السماوات والارض . قال تعالى :{

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[المائدة :2] .

العدل الصارم :

قال تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** }[النساء :135].

فالعدل الصارم ولو على أنفسكم أو آبائكم أو أبنائكم أو أهل مودتكم ، هو ميزان الله الذي ينبغي أن يلتزم به المسلمون في معاملاتهم ، ولا محاباة لغني أو حتى لفقير نتيجة شعورنا بالعطف نحوه ، فالعدل والحق الصراح هو الميزان الدقيق الذي قامت به السماوات والارض ، فلا تميلوا يمنة ولا يسرة ، ولكن التزموا بهذا الميزان الذي لا يفضل مسلما على كافر ، ولا قريبا على بعيد ، ولا غنيا على فقير ، أو فقيرا على غني ، ولا صديقا على عدو في ميزان العدل والانصاف . أنه ميزان قد تحقق على واقع الارض بما لم تعرف له البشرية مثيلا في تاريخها الطويل ، ولم ترق أمة من الأمم الى بعض ما وصلت اليه أمة الاسلام من عدل ونصفة .

محمد علي البار

قصة ابن أبيرق

وتتمثل هذه العدالة في أجلى صورها في قصة إنصاف يهودي اتهمه نفر من الأنصار بأنه سرق درعا لأحدهم ، وقام السارق الحقيقي ، وهو منافق ، برمي ذلك الدرع سرّا في بيت اليهودي عندما بدأ الاتهام يحوم حوله ، فذهبوا إلى بيت اليهودي واستخرجوا الدرع من بيته . فبدت التهمة واضحة جليّة على هذا اليهودي ، وكاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدّق ما قالوه وما وجدوه ، ولكن الله من فوق سبع سماوات يأبى أن يظلم يهودي معادٍ لرسول الله ، وقومه بهت آذوا رسول الله ومكروا به ، وحاولوا اغتياله مرارا ، وحاربوه بكل وسيلة ظاهرة وباطنة . وسأذكر هنا ما قاله سيد قطب رحمه الله في كتابه (في ظلال القرآن) عن هذه القصة والآيات العجيبة في سورة النساء (105_113): **{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** (105) **وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** (106) **وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** (107) **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا** (108) **هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا** (109) **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا** (110) **وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** (111) **وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** (112) **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**(113) **}**

هذه الآيات تحكي قصة لا تعرف لها الارض نظيرا ، ولا تعرف لها البشرية شبيها ، وتشهد ، وحدها ، بأن هذا القرآن وهذا الدين لا بد أن يكون من عند الله ، لأن البشر ، مهما ارتفع تصورهم ، ومهما صفت أرواحهم ، ومهما استقامت طبائعهم ، لا يمكن أن يرتفعوا بأنفسهم ، إلى هذا المستوى الذي تشير إليه هذه الآيات ، إلا بوحي من الله ... هذا المستوى الذي يرسم خطاً على الأفق لم تصعد إليه البشرية ، إلا في ظل هذا المنهج ، ولا تملك الصعود إليه أبداً إلا في ظل هذا المنهج كذلك !.

إنه في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة ، التي تحويها جعبتهم اللئيمة ، على الإسلام والمسلمين ، والتي حكت هذه السورة وسورة البقرة وسورة آل عمران جانباً منها ومن فعلها في الصف المسلم ..

في الوقت الذي كانوا فيه ينشرون الأكاذيب ، ويؤلبون المشركين ، ويشجعون المنافقين ،

ويرسمون لهم الطريق ، ويطلقون الإشاعات ، ويضللون العقول ، ويطعنون في القيادة النبوية ، ويشكّكون في الوحي والرسالة ، ويحاولون تفسيخ المجتمع المسلم من الداخل ، في الوقت الذي يؤلبون عليه خصومه ليهاجموه من الخارج .. والإسلام ناشئ في المدينة ، ورواسب الجاهلية ما يزال لها آثارها في النفوس ، ووشائج القربى والمصلحة بين بعض المسلمين وبعض المشركين والمنافقين واليهود أنفسهم تمثل خطراً حقيقياً على تماسك الصف المسلم وتناسقه ..

في هذا الوقت الحرج ، الخطر ، الشديد الخطورة .. كانت هذه الآيات كلها تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الجماعة المسلمة ، لتنصف رجلاً يهودياً ، اتهم ظلماً بسرقة ، ولتدين الذين تآمروا على اتهامه ، وهم بيت في الأنصار في المدينة ، والأنصار يومئذ هم عدّة الرسول صلى الله عليه وسلم وجنده ، في مقاومة هذا الكيد الناصب حوله ، ومن حول الرسالة والدين والعقيدة الجديدة ..!.

أي مستوى من النظافة والعدالة والتسامي هذا ! ثم أي كلام يمكن أن يرتفع ليصف هذا المستوى؟ وكل كلام ، وكل تعليق ، وكل تعقيب ، يتهاوى دون هذه القمة السامقة ،التي لا يبلغها البشر وحدهم ، بل لا يعرفها البشر وحدهم ، إلا أن يقادوا بمنهج الله ، إلى هذا الأفق العلوي الكريم الوضيء !.

والقصة التي رويت ، من عدة مصادر ، في سبب نزول هذه الآيات : أن نفرا من الانصار ، قتادة بن النعمان وعمه رفاعة ، غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ، فسرقت درعٌ لأحدهم (رفاعة) ، فحامت الشبهة حول رجلٍ من الأنصار من أهل بيتٍ يقال لهم : بنو أبيرق ، فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن طعمة بن أبيرق سرق درعي . (وفي رواية: إنه بشير بن أبيرق ...وفي هذه الرواية : أن بشيراً هذا كان منافقاً يقول الشعر في ذم الصحابة وينسبه لبعض العرب !) ، فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها في بيت رجل يهودي (اسمه زيد بن السمين). وقال لنفر من عشيرته : إني غيّبت الدرع ، وألقيتها في بيت فلان ، وستوجد عنده . فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا نبي الله : إن صاحبنا بريء ، وإن الذي سرق الدرع فلان ، وقد أحطنا بذلك علماً ، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس ، وجادل عنه ، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك .

ولما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدرع وجدت في بيت اليهودي ، قام فبرأ ابن أبيرق وعذره على رؤوس الناس ، وكان أهله قد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ، قبل ظهور الدرع في بيت اليهودي : إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيتٍ مرّ أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بيّنة ولا ثبت !.

قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته ، فقال :((عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم إسلام وصلاح وترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بيّنة ؟)).

قال : فرجعت ، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك .فأتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن اخي ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الله المستعان .. فلم نلبث أن نزلت : **{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا }** [النساء:105] أي بني أبيرق _وخصيماً: أي محامياً ومدافعاً ومجادلاً عنهم _ **{وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ}** أي مما قلت لقتادة **{إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}**[النساء:106] ، **{وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** (107) **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا** (108) **هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (109) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا(110) }** [النساء:107-110] .. أي لو استغفروا الله لغفر لهم – **{وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(112) }**[النساء:111-112]..**{ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114) }** [النساء:113-114]

فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فردّه إلى رفاعة .. قال قتادة : لما أتيت عمي بالسلاح ، وكان شيخاً قد عمي ، أو عشي ، في الجاهلية ، وكنت أرى إسلامه مدخولاً ، فلما أتيته بالسلاح قال :يا بن أخي هي في سبيل الله ، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً! فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين ، فأنزل الله تعالى : **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا(116) }** [النساء : 15 - 16]

إن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء تآمرت عليه عصبة لتوقعه في الاتهام ، وان كانت تبرئة بريء أمراً هائلاً ثقيل الوزن في ميزان الله ، إنما كانت اكبر من ذلك ، كانت هي إقامة الميزان الذي لايميل مع الهوى ، ولا مع العصيبة ، ولا يتأرجح مع المودة والشنآن أياً كانت الملابسات والأحوال .

وكانت المسالة هي تطهير هذا المجتمع الجديد ، وعلاج عناصر الضعف البشري فيه مع علاج رواسب الجاهلية والعصبية ، في كل صورها حتى في صورة العقيدة ، إذا تعلق الأمر بإقامة العدل بين الناس ، وإقامة هذا المجتمع الجديد ، الفريد في تاريخ البشرية ، على القاعدة الطيّبة النظيفة الصلبة المتينة التي لا تدنّسها شوائب الهوى والمصلحة والعصبيّة ، والتي لا تترجرج مع الأهواء والميول والشهوات !.

ولقد كان هناك أكثر من سبب للإغضاء عن الحادث ، أو عدم التشديد فيه والتنديد به وكشفه هكذا لجميع الأبصار ، بل فضحه بين الناس ، على هذا النحو العنيف المكشوف .. كان هناك أكثر من سبب ، لو كانت الاعتبارات الأرضية هي التي تتحكم وتحكم ، ولو كانت موازين البشر ومقاييسهم هي التي يرجع إليها هذا المنهج !.

كان هناك سبب واضح عريض .. ان هذا المتهم (يهودي) .. من (يهود).. يهود التي لا تدع سهماً مسموماً تملكه إلا أطلقته في حرب الإسلام وأهله . يهود التي يذوق منها المسلمون الأمرّين في هذه الحقبة (ويشاء الله أن يكون ذلك في كل حقبة!)...يهود التي لا تعرف حقاً ولا عدلاً ولا نصفة ، ولا تقيم اعتباراً لقيمة واحدة من قيم الأخلاق في التعامل مع المسلمين على الإطلاق .

وكان هناك سبب آخر ، وهو أن الأمر في الأنصار ، الأنصار الذين آووا ونصروا ، والذين قد يوجد هذا الحادث بين بعض بيوتهم مايوجد من الضغائن ، بينما أن اتجاه الاتهام إلى يهودي ، يبعد شبح الشقاق !.

وكان هنالك سبب ثالث ، وهو عدم إعطاء اليهود سهماً جديداً يوجهونه إلى الانصار ، وهو ان بعضهم يسرق بعضاً ، ثم يتهمون اليهود ! وهم لا يدعون هذه الفرصة تفلت للتشهير بها والتعزيز!.

ولكن الأمر كان أكبر من هذا كله .. كان أكبر من كل هذه الاعتبارات الصغيرة .. الصغيرة في حساب الإسلام ، كان أمر تربية هذه الجماعة الجديدة لتنهض بتكاليفها في خلافة الارض وفي قيادة البشرية . وهي لا تقوم بالخلافة في الأرض ولا تنهض بقيادة البشرية حتى يتضح لها منهج فريد متفوق على كل ما تعرف البشرية ، وحتى يثبت هذا المنهج في حياتها الواقعية ، وحتى يمحص كيانها تمحيصا شديدا ، وتنفض عنه كل خبيئة من ضعف البشر ومن رواسب الجاهلية وحتى يقام فيها ميزان العدل – لتحكم به بين الناس – مجردا من جميع الاعتبارات الأرضية ، والمصالح القريبة الظاهرة والملابسات التي يراها الناس شيئا كبيرا لا يقدرون على تجاهله .

واختار الله – سبحانه – هذا الحادث بذاته، في ميقاته .. مع يهودي .. من يهود التي يذوق منها المسلمون الامرّين إذا ذاك في المدينة ، والتي تؤلّب عليهم المشركين ، وتؤيّ بينهم المنافقين ، وترصد كل ما في جعبتها من مكر وتجربة وعلم لهذا الدين ! وفي فترة حرجة من

حياة المسلمين في المدينة ، والعداوات تحيط بهم من كل جانب، ووراء كل هذه العداوات يهود !

اختار الله هذا الحادث في هذا الظرف ، ليقول فيه – سبحانه – للجماعة المسلمة ما أراد ان يقول ، وليعلّمها به ما يريد لها ان تتعلّم !

ومن ثم لم يكن هناك مجال للّباقة ولا للّكياسة ! ولا للّسياسة ! ولا للّمهارة في اخفاء ما يخرج ، وتغطية ما يسوء !

ولم يكن هناك مجال لمصلحة الجماعة المسلمة الظاهرية ! ومراعاة الظروف الوقتية المحيطة بها !

هنا كان الامر جدّا خالصا ، لا يحتمل الدهان ولا التمويه ! وكان هذا الجدّ هو أمر المنهج الرباني وأصوله . وأمر هذه الامة التي تعدّ لتنهض بهذا المنهج وتنشره . وأمر العدل بين الناس ، العدل في هذا المستوى الذي يرتفع اليه الناس – بل لا يعرفه الناس – الا بوحي من الله ، وعون من الله .

وينظر الانسان من هذه القمّة السامقة الى السفوح الهابطة – في جميع الأمم على مدار الزمان – فيراها هنالك .. هنالك السفوح .. ويرى بين تلك القمّة السامقة والسفوح الهابطة صخورا متردّية ، هنا وهناك ، من الدهاء ، والمراء ، والسياسة ، والكياسة ، والبراعة ، والمهارة ، ومصلحة الدولة ، ومصلحة الوطن ، ومصلحة الجماعة .. الى آخر الأسماء والعنوانات .. فإذا دقّق الإنسان فيها النظر رأى من تحتها .. الدود ! .

وينظر الانسان مرة آخرى فيرى الأمة المسلمة – وحدها – صاعدة من السفح الى القمة . تتناثر على مدار التاريخ ، وهي تتطلع الى القمة ، التي وجهها اليها المنهج الفريد .

وأما العفن الذي يسمونه (العدالة) في أمم الجاهلية الغابرة والحاضرة ، فلا يستحق ان نرفع عنه الغطاء ، في مثل هذا الجو النظيف الكريم ..

الشاهد الثاني

مقدم النبي صلى الل عليه وآله وسلم الى المدينة

والعهد الذي وضعه للمسلمين واليهود

قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ومعه صاحبه أبو بكر الصديق ، وقد سبقهما عدد من المهاجرين ولحقهما عدد آخر ، وكان الاسلام قد دخل كل بيت من بيوت الأوس والخزرج ، فكانوا خير أنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بذلوا أنفسهم وأموالهم وكل ما يملكون لله ورسوله .

وأخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والانصار ، تلك المؤاخاة التي لم تعرف لها البشرية في تاريخها الطويل نظيرا ، ولم ينزل مهاجري على أنصاري إلا بالقرعة ، حيث كانوا يتنافسون في استضافتهم ، وكان الأنصاري ينزل عن ماله وأهله لأخيه المهاجري ، ويأبى المهاجري ذلك ويقول كما قال عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك يا أخي في أهلك ومالك ، ولكن دلّوني على السوق ، حتى مدحهم الله سبحان وتعالى : **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }**[الحشر :9] .

ومع ذلك فقد كانت المدينة تموج بالمنافقين ويهود ، ولذا فقد نظّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المجتمع المدني تنظيما دقيقا . وقد ذكر ابن اسحاق في السيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتابا وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين من قريش ويثرب ومن لحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس . المهاجرون من قريش على ربعتهم ، يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم (أي أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

ثم ذكر كل قبيلة من قبائل الانصار على مثل ذلك . وأن من تبعنا من اليهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .. وأن يهود بني عوف أُمّة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع الا نفسه (أي لا يهلك إلا نفسه) وأهل بيته . وإن ليهود بني النجار مثلما ليهود بني عوف .

ثم ذكر كل قبيلة من قبائل يهود المتحالفة مع بطون الأوس والخزرج . وأن لا يخرج أحد من المدينة في حرب إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم (أي عندما يخرجون للحرب). وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر

للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وأن الجار كالنفس غير مضارّ ولا آثم . وإذا حصل شجار أو فساد فإن مردّه الى الله ورسوله ليحكم بينهم بالعدل والانصاف ، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم . وأنه من خرج من المدينة فهو آمن ، ومن قعد فهو آمن إلا من ظلم أو أثم " .

وكان من تدبيره صلى الله عليه وآله وسلم عندما قدم المدينة أن جعل للمسلمين سوقا خاصا بهم ، حيث لم يكن للأوس والخزرج سوق خاص بهم ، بل هم تابعون في أسواقهم لأسواق يهود فكان من الحكمة استقلال المسلمين بسوقهم لإقامة مجتمع اسلامي اقتصادي حرّ لا يعتمد كليّ على اليهود . وان كانت العلاقات حسبما تنظّمها الصحيفة ودّية للغاية .

ولكن يهود لم يلبثوا ان نقضوا العهود . وكان أول نقض في بني قينقاع ، ثم نقض العهد بنو النضير حاولوا اغتياله عندما جاءهم حسب العهد الذي بينه وبينهم يستعينهم في دفع ديات لناس قتلوا خطأ من قبل بعض المسلمين فتآمروا على أن يرموه بحجر كبير من فوق أحد منازلهم ، وهو ينتظرهم لأداء المال ، فأخبره الله تعالى بذلك ، فقام وكأنه يريد شيئا وعاد أدراجه الى المدينة ، ثم حاصرهم وأجلاهم عن المدينة كما أجلى بني قينقاع .

واستمرت المؤامرات ومحاولات سمّه وقتله وتأليب العرب عليه حتى كبتهم الله وأخزاهم في بني قريظة وخيبر وفدك ... إلخ .

ورغم ذلك كله بقيت المعاملات المالية وغيرها بينه وبينهم . فقد أخرج البخاري في (صحيحه) : أنه صلى الله عليه وآله وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام لأهله استلفه منهم .

وفي البخاري أيضا : أنه صلى الله عليه وسلم كان يزور غلاما يهوديا مرض بالمدينة ، كان يخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه الى الاسلام عندما رآه في مرض موته ، ليشفع له عند الله يوم القيامة ، فنظر الغلام (وكان بالغا) الى والده فقال له والده : أطع أبا القاسم !! فأسلم قبل أن يموت ، وفرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا شديدا وتهلل وجهه كأنه البدر حيث أنقذه الله به من النار .

وفي عهد عمر رضي الله عنه وجد يهوديا يتكفف الناس ، فسأله عن ذلك فقال : إنه عاجز وشيخ ولا أحد ينفق عليه ، فأخذه عمر الى بيت المال وفرض له نفقة ، وقال : ما أنصفناه ، إذ أخذنا منه الجزية شابا وتركناه شيخا . فكان له الضمان الاجتماعي في بيت مال المسلمين .

الشاهد الثالث

آية المباهلة

وقصة وفد نجران

وفدت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العام التاسع من الهجرة بعد ان دانت له جزيرة العرب بعد فتح مكة والطائف .

يقول ابن كثير والألوسي وغيرهما من المفسرين : إن الله سبحانه وتعالى أنزل بضعا وثمانين آية من أول سورة آل عمران (82) أية في مجادلة وفد نجران وتبيين حقيقة عيسى عليه السلام وأمه.

قال ابن كثير : وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة الى هنا في وفد نجران لمّا قدموا (المدينة) فجعلوا يحاجّون في عيسى ، ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والالهية ، أنزل الله صدر هذه السورة ردّا عليهم .

ونقل ابن اسحاق في سيرته ان وفد نصارى نجران ستون راكبا ، وامرهم يؤول الى ثلاثة ، هم (العقاب) وكان امير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم ولا يصدرون الا عن رأيه ، و(السيد) وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم و (أبو حارثة بن علقمة) وكان أسقفهم وصاحب مدارستهم ، وقد عظّمته الروم وبنوا له الكنائس .. قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، ودخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، وعليهم ثياب الحبرّات (ثياب موشاة مخططة حمراء جميلة) حتى قال من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم . وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "دعوهم" فصلوا إلى المشرق.

إنها صورة عجيبة فذّة من السماحة واليسر ، فقد سمح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الوفد من نصارى نجران ان يصلوا صلاتهم في مسجده ، ولما أراد بعض الصحابة ان يمنعهم من ذلك قال "دعوهم" .

هل يمكن ان نتخّيل مثل هذا الموقف النبيل المتسامح لقوم من النصارى بقسسهم ورؤسائهم يصلوّن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! فلما قضوا صلاتهم كلمهم والتفت الى أسقفهم (أبي حارثة بن علقمة) واميرهم (العاقب) و(السيد الأيهم) . وكانوا من فرق النصرانية الملكانية (أي على دين الملك ، والمقصود به ملك الروم) . وكانت النصرانية فرقا شتى يكفرّ بعضها بعضا ، فمنهم من يقول : ان الله هو المسيح ابن مريم ، ومنهم من يقول : ان المسيح هو ابن الله ، ومنهم من يقول : ان الله ثالث ثلاثة . فنزل القرآن الكريم يجادلهم في ذلك كله ، ويوضح لهم ما هم عليه من ضلال ومضاهاتهم لمن سبق من ملل الكفر التي جاءت بمثل

هذه الأقوال (ومنهم المصريون القدماء أصحاب عقيدة التثليث : حوريس وايزيس وأوزريس ،وأن الله ثالث ثلاثة ... ومنهم قدماء الفرس والهنود واليونان)[1] وسنعرض ذلك كله في كتاب خاص عن عقائد النصارى بإذن الله تعالى[2] .

وجادلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال العاقب (وهو صاحب رأيهم) : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا لنبيّ مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم (أي عيسى عليه السلام). ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم . وأنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم أبيتم الا إلف دينكم والاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم .

فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا : يا أبا القاسم ! قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من اصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :"ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين" ، فاختار لهم أبا عبيدة (ابن الجراح) ، أمين هذه الامة رضي الله عنه .

وروى البخاري في (صحيحه) هذه الحادثة فقال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريدان ان يلاعناه ، قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، والله لئن كان نبيا فلاعناه لا نبقى نحن ولا عقبنا من بعدنا . قالا : إنا نعطيك ما سألنا وابعث معنا رجلا أمينا ، ولا تبعث معنا الا أمينا فقال : "لأبعثن معكم رجلا أمينا حقّ أمين" ، فاستشر لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : " قم يا أبا عبيدة ابن الجراح ". فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " هذا أمين هذه الامة " . قال ابن كثير : رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه . ولم يلاعنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الا بعد أن نزلت بضع وثمانون أية في مجادلتهم ، فلما عرفوا الحقّ وانكروه بعد معرفتهم اياه ، وعرض عليهم المباهلة حتى ينهي هذا الجدل الذي طال عن جده.

آية المباهلة : قال تعالى :{ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61)إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62)فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63) قُلْ يَا**

---

[1] انظر كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، تأليف محمد طاهر التنير ، ط بيروت 1331هـ.

[2] دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ، تحت الطبع ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت.

أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66)مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(67) } [آلا عمران: 59-67].

وقد نزل صدر سورة آل عمران في قصة مريم وأمها وابنها ونفي الربوبية عنه وتنزيه المولى عن ذلك وقصة مولد عيسى عليه السلام والمعجزات التي صاحبت مولده وكلامه في المهد من الآيات العجيبات ، ثم ارساله الى بني اسرائيل بالبينات والكتاب المبين مؤيدا بمعجزات عظيمات مثل : إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، والنفخ في الطير من الطين فيكون طيرا بإذن الله ، وتوضيح ضلال فرق النصارى في عيسى عليه السلام وأمه وعقائدهم المختلفة فيه حيث جعلته فرقة الله ، وفرقة جعلته ابن الله ، وثالثة جعلته ثالث ثلاثة ، وفرقة أخرى رفعت أمه مريم الى مقام الألوهية بينما فرقهم كافة تجعلها مجرد امرأة كانت وعاء لابن الله أو الله ، تعالى الله عن ذلك علا كبيرا .

فلما طال الجدل وعرف القوم صدق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكنهم استكبروا ان يسلموا فتضيع عليهم مكانتهم ومغانمهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمباهلة ، وهي الملاعنة فجاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان اتفقوا على ذلك ، وخرج من النصارى (العاقب) و(السيد) و(أبو حارثة بن علقمة) اسقفهم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام ، فلما رأوا تلك الوجوه قالوا لبعضهم بعضا : إن نلاعن هذه الوجوه هلكنا ، فقام شرحبيل وهو العاقب ، وقال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : إني قد رأيت خيرا من ملاعنتك .
فقال : "ما هو؟".
فقال : حكمك اليوم الى الليل وليلتك الى صباحك ، فمهما حكمت فينا فهو جائز!!.
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" لعل وراءك أحدا يثرب عليك" ، فقال شرحبيل : سل صاحباي (أي السيد والاسقف) ، فسألهما ، فقالا :ما يرد الوادي ولا يصدر الا عن رأي شرحبيل.

فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يلاعنهم ، حتى اذا كان من الغد أتوه ، فكتب لهم كتابا امرهم فيه بدفع ألفي حلة من حلل نجران كل عام ، في كل رجب ألف حلة ، وفي صفر ألف حلة ، فتعاقدوا على ذلك . وكانت تلك جزيتهم . ذكره ابن كثير في (التفسير) نقلا عن البيهقي في (دلائل النبوة) . ثم انهم طلبوا حكما عدلا امينا ليحكم بينهم في بعض ما اختلفوا فيه في بلدهم ، فعيّن لهم أبا عبيدة رضي الله عنه كما قد مر معنا.

وروى الحاكم في (المستدرك على الصحيحين) قال : قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم العاقب والطيب (في وفد نجران) فدعاهما الى الملاعنة ، فواعداه على أن يلاعناه الغداة . قال : فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أرسل اليهما (أي العاقب والطيب) فأبيا ان يجيبا ، وأقرا له بالخراج . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " والذي بعثني بالحق لو قالا : لا، لأمطر عليهم الوادي نارا" . قال جابر (بن عبد الله) رضي الله عنه : وفيهم نزلت : **{ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ}**[آل عمران: 61] قال جابر : (أنفسنا وأنفسكم) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب . (وأبناءنا) الحسن والحسين .(ونساءنا) فاطمة ، فعلي بن أبي طالب هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن . والحسن والحسين هما ابناء الرسول ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأحد من نسائه سوى فاطمة رضي الله عنها .. وهو مقام عظيم رفع الله به آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآل الكساء الى هذا المقام الخاص الذي لا يداني.

وقال ابن جرير في (تفسيره)[1] : فلما غدوا غدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم محتضنا حسنا ، آخذا بيد حسين ، وفاطمة تمشي خلفه. فدعاهم الى الذي فارقوه عليه بالامس ، فقالوا نعوذ بالله (أي من مباهلتك ، لانهم قد علموا انهم لو باهلوه لهلكوا جميعا) مرارا . قال : فإن أبيتم فاسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين كما قال الله عز وجل ، فإن أبيتم فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون .

واخرج (ابن جرير) بسنده عن زيد بن علي بن أبي طالب في هذه الآية :**{ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}** قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، أي الذين خرجوا للمباهلة ، فنكص نصارى نجران.

وأخرج ابن جرير بسنده : " أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسن والحسين وفاطمة ، وقال لعلي : اتبعنا ، فخرج معهم للمباهلة فنكص النصارى" .

" وأصل كلمة المبلهلة الملاعنة ، ويقال : بهلة الله : أي لعنه الله . والبهل : اللعن ، وصارت الكلمة تطلق على التضرع في الدعاء وخاصة اذا كان باللعن".

تفسير القرطبي[2] :

"قوله تعالى : **{ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا }**: دليل على أن أبناء البنات يسمون أبناء ، وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي خلفها وهو

---

[1] ابن جرير(أبو جعفر) محمد بن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة :3/209-215

[2] أبو عبد الله محمد الانصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن :4/130 ومابعدها.

يقول : إن أنا دعوت فأمرّوا" وهو معنى قوله: { **ثُمَّ نَبْتَهِلْ** } أي نتضرّع في الدعاء .. عن ابن عباس رضي الله عنهما : نلتعن . وأصل الابتهال : الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره . يقال : بهله الله أي لعنه ، والبهل : اللعن.

ثم قال : قال كثير من العلماء : ان قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين لما باهل { **نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ** }وقوله في الحسن : " ان ابني هذا سيد" ، مخصوص بالحسن والحسين ان سميا ابني النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهما ،لقوله صلى الله عليه وآله وسلم :"كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي".

وقد جاء في كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوفد نجران بعد ان أقرّوا بالجزية ما يلي : " ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبيعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير"[1]

وكان ممن أقر بالجزية أهل أيلة (لعلها إيلات على البحر الأحمر والتي احتلتها اسرائيل) ، وكان صاحب أيلة قد جاء الى تبوك سنة تسع للهجرة فأقرّ بالجزية . وكان أهلها نصارى .

وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل دومة الجندل وكانوا من النصارى ، فمنحهم العهد والأمان لهم ولبيعهم وحواشيهم ، ودفعوا الجزية راضين ، وفي مقابلها يدفع عنهم المسلمون من اعتدى عليهم .

ويحتفظ رهبان (دير سانت كاترين) في شبه جزيرة سيناء في الطور بصورة عهد الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وذكره صاحب كتاب (القول الابريزي للعلامة المقريزي) الاستاذ (مينا اسكندر) الذي جمع فيه أقوال المقريزي في خططه عن الاقباط . وقال الاستاذ مينا اسكندر : " ان السلطان سليم العثماني عندما فتح مصر سنة 923هـ/1517م أخذه منهم ، وحمله الى الآستانة ، وترك لهم صورة منه.

وفي المخطوطات الموجودة في المركز الرئيسي لادارة أملاك دير(سانت كاترين) في القاهرة عدة صور لهذا العهد باللغة العربية ، وترجمة باللغة التركية"[2] .

ويبدو من أسلوب هذا العهد أنه ملفق كتبه أحد الأقباط النصارى في مصر ليضمن حسن معاملة امراء المسلمين للنصارى . والسماح لهم ببناء الكنائس ، وعدم فرض أي جزية على

---

[1] أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص86. وذكره محمد حميد الله الحيدر آبادي في كتابه (مجموعة الوثائق السياسية) . ورواه أيضا ابن سعد في كتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كما رواه البلاذري في (فتوح البلدان)

[2] د. عبد المجيد دياب : تاريخ الأقباط المعروف بالقول الابريزي للعلامة المقريزي ، دراسة وتحقيق ، دار الفضيلة – القاهرة ص 19

القسس والرهبان ، واعفاء أموال وأراضي الكنائس من أي خراج أو أي ضريبة .

وقد أنكر الاب (لويس شيخو اليسوعي) هذا العهد وأنه منسوب الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا صحة له .

واليك نص هذا العهد[1]:

العهد الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ، كتبه محمد بن عبد الله ، الى كافة الناس أجمعين ، رسوله مبشرا ونذيرا ، ومؤتمنا على وديعة الله في خلقه ، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما .

كتبه لأهل ملة النصارى ، ولمن تنحّل دين النصرانية ، من مشارق الارض ومغاربها ، قريبها وبعيدها ، ، فصيحها وعجمها ، معروفها ومجهولها ، جعل لهم عهدا ، فمن نكث العهد الذي فيه ، وخالفه الى غيره ، وتعدى ما أمره ، كان لعهد الله ناكثا، ولميثاقه ناقضا ، وبدينه مستهزئا ، وللعنته مستوجبا ، سلطانا كان أم غيره من المسلمين .

وإن احتمى راهب ، أو سائح في جبل ، أو واد ، أو مغارة ، أو عمران ، أو سهل ، أو رمل ، أو بيعة ، فأنا أكون من ورائهم ، أذبّ عنهم من كل غيرة لهم ، بنفسي ، وأعواني ، وأهلي ، وملتي ، واتباعي ، لأنهم رعيتي ، وأهل ذمتيّ ، وأنا أعزل الأذى في المؤن التي / يحمل أهل العهد من القيام بالخراج ، إلا ما طابت له نفوسهم ، وليس عليهم جبر ولا إكراه على شيء من ذلك ، ولا يغيّر أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ، ولا حبيس من صومعته ، ولا سائح من سياحته ، ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم ، ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مساجد المسلمين ، ولا في بناء منازلهم ، فمن فعل شيئا من ذلك ، فقد نكث عهد الله ، وعهد رسوله ، ولا يحمل على الرهبان ، والأساقفة ، ولا من يتعبد جزية ولا غرامة ، وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا ، في برّ أو بحر ، في المشرق أو المغرب ، والجنوب والشمال ، وهم في ذمتي وميثاقي وأماني ، من كل مكروه وكذلك من يتفرّد بالعبادة في الجبال ، والمواضع المباركة ، لا يلزمهم مما يزرعونه ، لاخراج ولا عشر ، ولا يشاطرون لكونه برسم أفواههم ، ولا يعاونون عند ادراك الغلة ، ولا يلزمون الخروج في حرب وقيام الجبرية ، ولا من أصحاب الخراج وذوي الاموال والعقارات والتجارات ، مما هو أكثر من اثني عشر درهما ، بالجملة في كل عام ، ولا يكلف أحد منهم شططا ، ولا يجادلون الا بالتي هي أحسن ، ويحفظونهم تحت جناح الرحمة ، يكف عنهم أذية المكروه حيثما كانوا ، وحيثما حلوا .

[1] المصدر السابق ،ص19-23

وإن صارت النصرانية عند المسلمين ، فعليها برضاها ، ويمكنها الصلاة في بيعها ، ولا يحال بينها وبين هوى دينها .

ومن خان عهد الله واعتمد بالضد من ذلك ، فقد عصى ميثاقه ورسوله ، ويعاونوا على حرمة بيعهم ومواضعهم . وتكون تلك مقبولة لهم على دينهم وفعالهم بالعهد ، ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح المسلمين ، بل المسلمون يذبون عنهم ، ولا يخالف هذا العهد أبدا ، حتى تقوم الساعة وتنقضي الدنيا[1] .!!

***

[1] هذا العهد وأن كان مضمونه يتمشى مع المبادئ الاسلامية السمحة ، الا أن نص هذا العهد المذكور هنا لا يتفق وأسلوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفصح العرب ، وصاحب جوامع الكلم . وكل من له إلمام بالعربية ، أو معرفة بالتاريخ ينكر لا محالة صحة هذا الأثر ولو تتبعناه سطرا سطرا ، وعبارة عبارة لأمكن بيان تزوير صانعه ، ونحن في غنى عن ذلك ..... راجع بحث الأب لويس شيخو اليسوعي "عهود نبي الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى" (المشرق ،ج12، سنة 1909، ص609-618 و 674-682) . ولو ذكر مينا اسكندر جامع هذا الكتاب مثل هذه الاحاديث التي جاءت في " فتوح مصر لابن الحكم ، ص2-4) لكان أولى من عهد يحمل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الشاهد الرابع

قيمة الانسان وكرامته

إن الانسان ، أي انسان ، مكرم في الاسلام ، قال تعالى : **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }**[الاسراء : 70]، وقال تعالى :{ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**}[البقرة :30]، فالانسان خليفة الله في الارض ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه (أي بأمره الخاص) وسخر له مافي السموات ومافي الارض جميعا منه، ثم امتحنه في هذه الدنيا ليعلم علم ظهور من أطاعه ممن عصاه **{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}**[الملك: 2].

وقتل إنسان بريء مهما كان لونه أو دينه جريمة كبرى تعدل قتل جميع البشر ، وإحياء نفس واحدة إحياء لجميع البشر ، قال تعالى : **{مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ}**[المائدة : 32].

وقد بلغت بهم الوقاحة ان حرفوا كلام الله ، وجعلوا تلك الآيات في قتل يهودي ، أما قتل غير يهودي وخاصة ان كان من الكنعانيين ، فهو أمر لا غبار عليه ، بل هو أمر به الرب حسب زعمهم . ففي سفر يشوع (21/6) عند فتح أريحا : " وحرّموا (أي أبادوا) كل مافي المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف" .

وفي سفر التثنية (الاصحاح20) يقول الرب لهم – حسب زعمهم -: " وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلاهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريما" أي تقتل جميع الأنفس من الطفل الرضيع الى الشيخ الفاني .

وفي سفر صموئيل (الاصحاح الأول:15) : "والآن فاسمع صوت كلام الرب : هكذا يقول رب الجنود .. فالآن اذهب اضرب عماليق وحرموا كل ماله ، ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة ، طفلا رضيعا ، بقرا غنما ، حملا وحمارا " .. وهي سياسة اسرائيل اليوم منذ ان بدأت عصابات الأرجون وشترن على يد مناحيم بيجن ومجازر دير ياسين وقبية الى مجازر شارون في لبنان وفلسطين والمسلسل مستمر لم يتوقف بعد .

والفرق شاسع ، والبون كبير بين دين وضعه أحبار يهود الحاقدون على البشر ونسبوه زورا وبهتانا الى الله وأنبيائه ، وبين دين الاسلام الذي يعدو الى العدل والنصفة ولو كانوا أشد الأعداء **{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ}**[المائدة :8].

وقد ذكرنا آنفا قصة اليهودي الذي اتهم ظلما بأنه سرق دراعا لأحد الأنصار ، فانزل الله

سبحانه قرآنا من السماء يتلى الى أبد الآبدين يبرى ذلك اليهودي ، ويجرم ذلك المنافق (ابن أبيرق) الذي سرق الدرع ورماه عند اليهودي عندما اتهم بالسرقة[1].

والانسان في الاسلام –كما أسلفنا- مكرم حيا وميتا مسلما وكافرا .. وقد منع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المثلة ولو بالكلب العقور ، رغم أن قريشا مثلت بعمه حمزة في يوم أحد واكلت هند بن عتبة- زوج أبي سفيان ووالدة معاوية- كبده ، واتخذت من آذناه أقراطا .

وعندما مرت جنازة يهودي وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احتراما للجنازة ، ووقف معه الصحابة رضي الله عنهم ، ثم قال أحدهم : يا رسول الله ! إنها جنازة يهودي (مستكثرا وقوفه صلى الله عليه وآله وسلم لها ، وخاصة ان اليهود قد حاولوا اغتياله وسمه وسحره ، وكادوا له أشد الكيد ، ووقفوا مع قريش وغطفان وأسد يوم الخندق ، ولم يتركوا مكيدة أو حربا إلا وأشعلوها ضده) فرد صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابي قائلا : "أليست نفسا؟!"[2] اخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز.

فالنفس البشرية تستحق الاحترام ، والانسان مكرم حيا وميتا .

وقد غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما وجد رجلا يكسر عظما دون مبرر في مقبرة وقال له : " كسر عظم الميت ككسره حيا " وفي رواية :"في الاثم" .

فالانسان في الاسلام مكرم حيّ وميتا ، مسلما وكافرا . له حقوق ، وعليه واجبات ، فإن اعتدى على الغير عوقب بما يستحق من العقاب بعد ان تثبت عليه التهمة ، فإن لم تثبت التهمة فلا عقاب .

***

[1] انظر الشاهد الأول

[2] اخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز .

الشاهد الخامس

نكاح الكتابيات

أباح الاسلام نكاح نساء أهل الكتاب وأكل طعامهم لاقامة علاقات المودة ووشائج الرحمة في المجتمع .

قال تعالى :{ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**}[المائدة :5].

وقد أباح الله طعام أهل الكتاب ما عدا ما نصت عليه الآية التالية من سورة المائدة نفسها ، قال تعالى :{ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}[المائدة : 3].

ولا يباح كذلك كل ما اسكر من شرابهم ، وما عدا ذلك فقد أباح الله سبحانه وتعالى للمسلمين حتى تقوم المودة في المجتمع بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، كما يباح لأهل الكتاب طعام المسلمين كله .

وأباح الله سبحانه وتعالى نكاح العفيفات من المؤمنات ، والمحصنات العفيفات من أهل الكتاب ، نكاحا شرعيا بصداق وايجاب وقبول وولي ، فلهن أجورهن (أي صداقهن) ، ولا يتخذن خليلات (أي صديقات) ، أو مسافحات(أي زانيات).

قال القرطبي[1] : قال تعالى :{ **وَالْمُحْصنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ** }[المائدة : 5] : وهو على العهد دون دار الحرب فيكون خاصا . إذ لا يتصور قيام حالات زواج من كتابية محاربة وأهلها محاربون للمسلمين ، والناس في حالة حرب . فإذا انتهت الحرب بموادعة جاز الزواج .

وأما أهل الذمة المقيمين بين ظهراني المسلمين فلا شك في جواز التزوج منهن.

[1] محمد بن أحمد الانصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن :79/6.

قال ابن عباس :{ **وَالْمُحْصَنَاتُ** }: العفيفات العاقلات . وقال الشعبي : هو أن تحصن فرجها فلا تزني . وقرأ الشعبي { **وَالْمُحْصِنَاتُ** } بكسر الصاد . وقال مجاهد { **وَالْمُحْصَنَاتُ** } : الحرائر" .

وقال ابن كثير[1] في تفسيره الآية : { **وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ** } [المائدة:5] : قال ابن عباس وأبو أمامة ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وابراهيم النخعي والسدي ومقاتل بن حيان : يعني ذبائحهم.

وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن ذبائحهم حلال للمسلمين لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ولا يذكرون على ذبائحهم الا اسم الله ، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه تعالى وتقدس.

ثم ذكر ابن كثير قصة اليهودية التي ناولته صلى الله عليه وآله وسلم ذراعا مسمومة ، فتناوله فنهش منه نهشة فأخبره الذراع أنه مسموم ، فلفظه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأكل معه منها بشر بن البراء بن معرور فمات ، وكان قد عفى عن اليهودية من أهل خيبر التي سمته ، فلما مات بشر بن براء قادها به...

وقوله :{ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ** } أي : وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات.

وذكر هذا توطئة لما بعده وهو قوله تعالى :{ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ**} فقيل : أراد المحصنات : الحرائر دون الاماء ، وقيل : المحصنة هي العفيفة عن الزنى ، وأكدها قوله تعالى:{ **مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ** }[المائدة:5].

وقيل : المراد بذلك الذميات (أي أهل الذمة) دون الحربيات. ولما نزلت هذه الآية تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ، ولم يروا بذلك بأسا أخذا بهذه الآية الكريمة{**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ** } فجعلوا هذه مخصصة للتي في سورة البقرة :{ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ**}[البقرة :221].
وقد انفصل أهل الكتاب في ذكرهم عن المشركين في غير موضع . واشترط لذلك المهر لهن ، مثلما يفرض المهر للمسلمة العفيفة.
وقوله : { **مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ** }فكما شرط الاحصان من النساء – وهي العفة عن الزنى ، كذلك شرطها من الرجال ، وهو أن يكون الرجل محصنا عفيفا،{ **غَيْرَ مُسَافِحِينَ** } وهم الزناة { **وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ** } أي يتخذون الخليلات وهن العشيقات ، وكل ذلك محرم .

[1] أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم :19/2 وما بعدها .

زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جويرية بنت الحارث:

قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغزوة المريسيع التي يقال لها أيضا : غزوة بني المصطلق ، وهم بطن من خزاعة في السنة الخامسة للهجرة ، فانهزم بنو المصطلق ، ووقعت جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار رئيس بني المصطلق في السبايا . وكانت من نصيب ثابت بن قيس بن الشماس، فكاتبته على نفسها (أي بمبلغ من المال ليعتقها) فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم تستعينه على قضاء ما عليها من المال فقالت: يا رسول الله ! أنا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابتي . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :"فهل لك في خير ذلك؟"

قالت : ما هو يا رسول الله ؟

قال: " أقضي عنك كتابتك وأتزوجك" .

قالت : نعم يارسول الله .

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدفع له كاتبها عليه (تسع أوراق من ذهب) ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصدقها أربعمئة درهم .

فلما خرج الخبر الى الناس قالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! فأرسلوا ما كان في أيديهم من السبي واعتقوهم لله ورسوله . قالت عائشة رضي الله عنها : فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة من بني المصطلق ، فلما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها . ولم يبق امرأة من بني المصطلق الا رجعت الى اهلها .

وأسلم باسلامها بنو المصطلق جميعهم ، فكانت بركة على قومها في الدنيا والاخرة . وصارت هي من أمهات المؤمنين وزوجات النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والاخرة ، فما أسعدها وابركها على قومها .

زواج النبي صلى الله عليه وآله من صفية بنت حيي بن أخطب:

هي صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية ، من سبط اللاويين تنتسب الى هارون عليه السلام ، وأبوها رئيس بني النضير ، وهم قوم من يهود سكنوا المدينة . وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومحاربة له ، وتأليبا عليه . وحاول اغتياله عندما ذهب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى بني النضير يستعينهم في دية الرجلين الكلبيين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري . حسب العهود بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين يهود في معاونته في أداء الديات فما كان من بني النضير وعلى رأسها حيي بن أخطب الا ان تآمروا على رمي حجر

كبير عليه وهو جالس ينتظر المال فأخبره الله بذلك . فقام وتركهم وبقي أصحابه دون ان يخبرهم ، فانكشف سر اليهود ، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم وأجلاهم من المدينة.

وقد روت أم المؤمنين (صفية رضي الله عنها) فيما بعد انها سمعت أباها وعمها يتكلمان عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ويقول أحدهما للآخر : أهو هو النبي(أي الذي كنا ننتظره)

فقال الثاني : والله انه لهو هو النبي

فقال : فما نفعل .

قال : عداوته أبد الدهر.

فوقر في قلبها منذ ذلك اليوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صادق .

وكان قد تزوجها سلام بن مشكم القرظي ، ثم خلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق من بني النضير ، وكان من شعراء اليهود ، يهجو النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، فقتل يوم خيبر هو وأبوها ، وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع أن قمرا وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فغضب وقال : " أتمنين نفسك ملك الحجاز محمدا"، ولطمها على وجهها لطمة شديدة أثرت فيه واخضرت عيناها منه.

فلما وقعت غزوة خيبر أخذت صفية في الاسرى ، وكانت من السبي ، فقال دحية بن خليفة الكلبي : يا نبي الله ! أعطني جارية من السبي ، فقال : اذهب فخذ جارية ، فأخذ صفية بنت حيي بن أخطب . فأتى رجل النبي فقال : يا نبي الله ! أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة بني قريظة والنضير؟ لا تصلح الا لك . وذكر له من جمالها . وكان كثير من كبار الصحابة يتشوفون اليها ، وهم أفضل من دحية ، ولو أخذها واحد منهم لوقع في قلوب الآخرين ، فكان خير شيء أن يأخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه .

وعند ابن اسحاق ان صفية لما سبيت أتى بها بلال وبأخرى معها فمر بهما في طريق على قتلى اليهود ، فلما رأتهم الاخرى التي مع صفية صاحت وصكت وجهها واستمرت في صياحها ، بينما تجملت صفية وصبرت ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لام بلال وقال له : انزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما . وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه . فعرف المسلمين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اصطفاها لنفسه .

وعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاسلام فأسلمت فاعتقها وتزوجها وجعل صداقها عتقها . قالت صفية : انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أبغض الناس

الي ، قتل زوجي وأبي وقومي ، فقال : يا صفية ! أما اني اعتذر اليك مما صنعت بقومك ، إنهم قالوا لي كذا ، وإن أباك ألب علي العرب ، وفعل وفعل ، قالت : فما زال يعتذر الي حتى ذهب ذلك من نفسي .

وفي رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها : "اختاري ، فإن اخترت الاسلام أمسكتك لنفسي ، وان اخترت اليهودية فعسى أن اعتقك فتلحقي بقومك".

فقالت : يارسول الله ! لقد هويت الاسلام ، وصدقت بك قبل ان تدعوني حيث صرت الى رحلك ، ومالي في اليهودية أرب ، ومالي فيها والد ولا أخ وخيرتني بين الكفر والاسلام ، فالله ورسوله أحب إلي من العتق ، وأن ارجع الى قومي ، فأمسكها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتزوجها.

وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي (غزوة خيبر) وفي كتاب النكاح : عن أنس قال : " صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصبح قريبا من خيبر بغلس (أي أول الفجر والظلام لا يزال) ثم قال : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، فخرجوا (أي أهل خيبر) يسعون في السكك ، فقتل النبي صلى الله عليه وآله المقاتلة ، وسبى الذرية ، وكان في السبي صفية ، فصارت الى دحية الكلبي ، ثم صارت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل عتقها صداقها" .

ولما قفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر خرج بصفية معه وأردفها وراءه ، فلما أرادت ان تركب أناخ لها الجمل ، فلم تستطع ان تركب فوضع لها فخذه الشريفة فصعدت على فخده ثم ركبت ، قال أنس رضي الله عنه : حتى اذا بلغنا سد الصهباء حلت (أي طهرت من حيضها ، وعدة المسبية حيضة) فدفعها النبي صلى الله عليه وأله وسلم الى أم سليم تصنعها وتهيئها ، فمشطتها أم سليم وعطرتها فأصبح عروسا بها .

وبات أبو أيوب خالد بن يزيد الانصاري يحرس النبي صلى الله عليه وآله وسلم متوشحا سيفه حتى اصبح ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكانه قال : " مالك يا أبا أيوب ؟ " قال : يارسول الله ! خفت عليك من هذه المرأة قتلت أباها وزوجها وقومها ، وهي حديثة عهد بكفر ، فقلت : أكون قريبا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"يرحمك الله يا أيوب ، اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني".

وأولم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صفية وليمة ما كان فيها من خبز ولا لحم ، بل فيها التمر والسمن والسوبق ، فحاسوا حيسا (وهو الأقط والسمن والتمر مخلوطا) فكانت تلك وليمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد غارت زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخاصة عائشة وحفصة من صفية

لجمالها ، وكانت عائشة تفخر عليها وتقول لها : أنا بنت الصديق ، وكانت حفصة تقول : أنا بنت الفاروق ، وأنت يهودية ، فاشتكت صفية الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : قولي لهما : أنا أبي هارون ، وعمي موسى ، وزوجي محمد ، فأيتكن مثلي . وهي تنسب الى هارون عليه السلام حتى يقال عنها : صفية الهارونية[1] .

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصفية رديفته ، فعثرت الناقة ، فصرع وصرعت ، فاقتحم أبو طلحة عن راحلته فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا نبي الله ! هل ضرك شيئ ؟ قال : " لا ، عليك بالمرأة" ، فألقى أبو طلحة ثوبه ، ونبذ الثوب عليها ، فقامت فشدها على راحلته ، فركبت وركب النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقالت عائشة عنها : حسبك من صفية أنها قصيرة ! فغضب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال لها : " قد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته" . واعتبر ذلك من الغيبة ، ونهى عائشة عن مثل هذا القول.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم معتكفا في المسجد ذات ليلة في رمضان ، فجاءت اليه صفية فأخذ يحدثها ويسامرها ثم رجع بها الى منزلها ، فرآه رجلان من الانصار ، فاسرعا المشي ، فصاح بهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " على رسلكما إنها صفية !!" .

فقال لهما :"إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فخشيت أن يلقي الشيطان في روعكما سوءا ، فخشيت عليكما من ذلك "(أو كما قال)

هذه هي صفية بنت ألد أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأشدهم حربا له حيي بن أخطب ، تتحول مع هذا النبي الكريم الى تلك القمة السامقة فتصبح احدى أمهات المؤمنين ، وزوجة لخير الخلق أجمعين . فما أكرمه من خلق عظيم . وصدق الله حيث يقول : **{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }**[القلم : 4].

وأخرج ابن سعد – ورجاله ثقات - : أن صفية قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي توفي فيه : والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي ، فغمزها أزواجه فأبصرهن ، فقال "مضمضن" ، قلن : من أي شيء؟ قال :"من تغامزكم بها ،والله إنها لصادقة" . فأي مكرمة لها حتى يحلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنها صادقة في مودته ومحبته.

---

[1] الاصابة ، لابن حجر :127/8، والاستيعاب ، لابن عبد البر: 1872/4. وأخرج الترمذي عن أنس أن حفصة قالت لها: يا بنت اليهودية ، فبكت ، ودخل عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تبكي ، فأخبرته بما قالت حفصة ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم :"إنك لابنة نبي ، وإن عمك نبي ، وإنك لتحت نبي ، ففيم تفخر عليك" . ثم قال :"اتق الله ياحفصة " . وأخرج مثله أحمد في مسنده : 135/3 ، واسناده صحيح.

ثم إنها كانت ممن دافع عن عثمان رضي الله عنه في الفتنة ، وكانت تنقل له الماء والطعام . فرضى الله عنها وأرضاها وأعلى مقامها مع زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الفردوس الأعلى .

مارية القبطية"

وأهدى المقوقس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (مارية القبطية) ، فأسلمت تحت يده وأنجبت له ابنه ابراهيم الذي توفي صغيرا وحزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوفاةحزنا شديدا ، إلا انه صبر وقال : " إنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون . وان القلب ليحزن ، والعين لتدمع ، ولا نقول الا ما يرضي الرب"

ولما مات ابراهيم كسفت الشمس فقال الناس : كسفت الشمس لموت ابراهيم ، فقام النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم خطيبا فقال: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد أو حياته، فإذا رأيتم ذلك فاهرعوا الى الصلاة" .

ولو كان غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم لاستفاد من تلك المناسبة أو على أقل تقدير لسكت ، وترك الناس يخوضون فيما يريدون ان يخوضوا فيه . ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم أبى عليهم ذلك . وأزال عنهم تلك الغشاوة التي تصيب الناس جميعا في المحن ، وخاصة إذا صاحبتها ظواهر طبيعية خارقة للعادة . فأعادهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الجادة ، وأزال من قلوبهم وتفكيرهم كل تفكير غير عقلاني يؤدي الى التفكير الخرافي والعجائبي والاسطوري .

تزوج الصحابة من الكتابيات:

لقد أباح الله سبحانه وتعالى نكاح الكتابيات – كما تقدم معنا – وتزوج عثمان رضي الله عنه – بعد أن ماتت تحته بنتي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رقية وأم كلثوم – نائلة بنت الفرافصة الكلبية ، وكانت نصرانية فاسلمت بعد زواجها . وكانت خير زوجة لعثمان رضي الله عنه .

وأسلمت نائلة عند عثمان ، وكانت عاقلة حكيمة مخلصة لعثمان ، قطعت أصابعها وهي تدافع عنه عندما هجم عليه الثوار البغاة .

وبعد وفاة عثمان أرسل معاوية يخطبها فرفضت ، فكرّر خطبتها فنزعت ثنيتها وأرسلتها له قائلة : لا يرى مني أحد بعد عثمان شيئا ، فكفّ عنها معاوية .

وتزوّج طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه نصرانية .

وتزوج حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يهودية ، فكتب اليه عمر رضي الله عنه ، خلِّ سبيلها ، فكتب اليه : أتزعم أنها حرام ؟ فردّ عليه قائلا : لا أزعم أنها حرام ، ولكني أخاف ان تتعاطوا المومسات منهن[1] .

والاباحة إنما هي للعفيفات المحصنات من أهل الكتاب كما تقدم .

وجاء في (البحر المحيط)[2] : " وتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه نائلة بنت الفرافصة الكلبية على نسائه ، وتزوج طلحة بن عبيد الله يهودية من الشام ، وتزوج حذيفة يهودية" .

والنكاح يوجب الود ، قال تعالى : **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}**[الروم : 21] وقد كره عمر رضي الله عنه ذلك الزواج لما كثر بين الصحابة ، كان عبد الله بن عمر يتلو قوله تعالى :**{ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ}**[البقرة :221] . ويقول لا أعلم أن شركا أعظم من أن تقول : إن عيسى ربّها ، ولكن هذا الرأي لم يقرّه عليه الصحابة ، فهو رأي خاص واجتهاد منه .

وقد رأى علي رضي الله عنه أن نساء تغلب النصرانيات لا يحلّ نكاحهن ، لأن تغلب لا تعرف من النصرانية سوى شرب الخمر ... وخالفه في ذلك كثير من الصحابة .. وأما بقية النصارى سواء كانوا من نصارى العرب أو الروم ، أو غيرهم ، فإنه يجوز أكل طعامهم ، ونكاح نسائهم ، محصنات غير مسافحات ، ولا متخذات أخذان ، كما تقدّم معنا .

وكانت والدة خالد بن عبد الله القسري القائد الأموي (أي في العصر الأموي) نصرانية ، وكان شجاعا شاعرا كريما وبارا بوالدته ، الا أن برّه بها بلغ به أن يبني لها أكبر كنيسة في العراق ، فتعرض له بعض الشعراء ، ولامه على ذلك .

وجاء في ترجمة خالد بن عبد الله القسري في دائرة المعارف الاسلامية[3] أن أمّه نصرانية ، وابوه من بجيلة ، القبلية العربية ، واستعمله الوليد بن عبد الملك بن مروان أميرا على مكة سنة 89هـ ، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك سنة 96هـ صرفه من الامارة ، وعادت الى الامارة بتولي هشام بن عبد الملك الذي ولاه العراق بأسره محل عمر بن هبيرة . فقام بالعراق واهتمّ بالزراعة ، واستصلح العديد من الاراضي الزراعية ، وأمّن البلاد والعباد ، وجعل مقرّه واسط ، ومال الى اليمانية ، وانصرف عن القيسية ، وكان التعصب القبلي قد اشتدّ وظهر في العهد الأموي ، وبنى كنيسة فخمة في الكوفة ، وسمح لليهود والنصارى ببناء الكنائس والبيع الجديدة ، وكان العهد ألا يبنوا جديدا ، واستعمل اليهود والنصارى والمجوس في أعمال الدولة ، فكادوا له

---

[1] تفسير البغوي قوله تعالى: { **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ...** }[المائدة:5]

[2] البحر المحيط ، سورة المائدة ، آية 5.

[3] 200/8

عند هشام بن عبد الملك الذي عيّن مكانه يوسف بن عمر الثقفي الذي كان يحقد عليه فحبسه وعذّبه الى ان مات عام 125هـ ، وقيل عام :126هـ .

***

الشاهد السادس **دخول الاسلام الى سقطرى**

ومعاملتهم للنصارى

تعريف بسقطرى :

سقطرى جزيرة تقع في المحيط الهندي جنوب جزيرة العرب على بعد أربعمئة كيلومترا من الساحل الجنوبي لجزيرة العرب ، وتقع على بعد (350) كيلومترا جنوب شرق مدينة سيحوت في مقاطعة المهرة من اليمن ، و(500) كيلومترا جنوب شرق مدينة المكلا . وأقصى طول للجزيرة هو (120) كيلومترا، واقصى عرض لها (35) كيلومترا ، وتبلغ مساحتها (3100) كيلومترا مربعا . وتتبع الآن في محافظة حضرموت من اليمن.

وقد اشتهرت سقطرى في التاريخ القديم بأنها جزيرة المرّ واللبان ، وشجرة دم الاخوين وهي شجرة العندم ، وهو افراز على شكل دمعة قانية حمراء تقطر قطرا متواليا من جذعها عند جرحه ، وتستخدم في الطب القديم وتعرف باسم (Dragon Blood) باللغة الانكليزية ، واسمها العلمي (Dracaena Cinnabari) ، كما تحتوي سقطرى الى اليوم على العديد من النباتات النادرة والنباتات الطبية والاعشاب .

وقد اهتمّ بها قدماء المصريين ، وأرسلت الملكة حتشبسوت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بعثة الى بلاد بنت (حضرموت والمهرة وسقطرى) لأخذ المرّ واللبان والبخور والعنبر والصبر ، وتوجد بردية مصرية قديمة تصف جزيرة بأنخ السحرية (وهي سقطرى) .

وكذلك اهتم الهنود القدماء بسقطرى وبنوا فيها معبدا ضخما ، وصفه فيما بعد (ديودورس الصقلي) ، كما وصفه المسعودي في (مروج الذهب) ، ويدّعي المسعودي وياقوت الحموي والصمداني اهتمام الاسكندر المقدوني بهذه الجزيرة السحرية بناء على توصية استاذه ارسطوطاليس ، وأنه غزاها بنفسه (وفي رواية أخرى: أرسل أحد قواده) ، واستولى عليها وأسكن فيها مفرزة من جنده من أجل اللبان والصبر والعنبر وشجرة العندم (دم الاخوين) ... الخ

وقد أطلق اليونان على جزيرة سقطرى أسماء عدة ، منها : جزيرة السعادة ، وجزيرة ديقوريدس أشهر عشابي اليونان) وجزيرة كلارا ، وجزيرة اللبان ... الخ.

وتحول حسب زعمهم المعبد الهندي القديم الى معبد زيوس كبير الآلهة عند اليونان ، ثم في العهد الروماني تحول الى معبد لجوبيتير كبير الآلهة عند الرومان.

ودخل الاحباش ايضا الى جزيرة سقطرى ، ولكان سكان سقطرى كما يقول كتاب (رحلة الى البحر الاحمر) (Periplus Maris Erythraei) لكاتب مجهول من القرن الاول بعد الميلاد ،

انهم خليط من العرب والهنود واليونان والاحباش[1] .

ولكن الحسن بن أحمد الهمداني المعاصر للمسعودي ذكر في كتابه (صفة جزيرة العرب) أن سكان سقطرى هم يمينون من قبيلة المهرة ، وأن الهود والأحباش واليونان والرومان قدموا اليها كتجار ، وانكر قصة ان الاسكندر المقدوني اسكن مفرزة من جنده فيها ، وأكدّ أن اهل عدن ، وهم أعرف الناس بسقطرى ، نفوا نفيا قاطعا ان يكون بها روم او يونان ، وانما تنصرّ اهلها عند ظهور النصرانية (مثل نجران) بتأثير الاحباش الذين سبقوهم الى النصرانية[2] .

ولا شك ان سكان جزيرة سقطرى هم من قبائل المهرة من جنوب الجزيرة العربية ، والمهرة قبيلة يمنية من قضاعة – كما يقول القاضي الحجري في كتابه (مجموع بلدان اليمن وقبائلها)[3] : " وهم ولد مهرة بن حيدان ومساكنهم في سيحوت والغيضة والمشقاص" ، ويؤكد ذلك السيد سقاف ابن علي الكاف بأن المهرة من قضاعة ، وموطنهم ساحل حضرموت من الشحر الى ظفار ، وانهم هم الذين اسسوا مدينة (الشحر)، وكان اسمها (الاسعار) ، وان القبائل الاخرى غلبت عليهم فانسحبوا منها وتمركزوا شرقها فيما يعرف بالمهرة الى ظفار"[4].

وسكن مع هذه القبائل المهرية خليط ممن بقي من تجار الهنود والحبشة ، وربما بعض اليونان والرومان .

النصرانية في سقطرى :

وقد دخلت النصرانية قديما الى سقطرى ، ويزعم الادميرال جوادي كاسترو البرتغالي الذي زار سقطرى عام 1541م في مذكراته : أن القديس توماس (القرن الاول للميلاد) تحطمت سفينته في أثناء رحلته الى الهند بالقرب من سقطرى ، ونزل بها ونصرّ كثيرا من أهلها ، وتذكر المصادر العربية (المسعودي ، الهمداني ، ياقوت الحموي ، والبيروني... الخ) : أن اليونان الذين اسكنهم الاسكندر المقدوني في القرن الرابع الميلادي في سقطرى تنصرّوا عند ظهور المسيحية[5] .

والمعروف ان الحبشة تنصرّت في فترة مبكرة من تاريخ ظهور النصرانية ، وكان اتصال الحبشة باليمن وثيقا جدا ، وتنصرّ أهل نجران من اليمن ، كما دخلت النصرانية بواسطة الاحباش الى سقطرى فتنصرّ أهلها.

---

[1] د. محمد علي البار ، سقطرى الجزيرة السحرية ، العصر الحديث ، بيروت ،1996م ،ص31.

[2] الحسن بن أحمد الهمداني (المتوفى سنة 334هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، واشراف : حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ، ص69-70.

[3] القاضي محمد بن أحمد الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق : اسماعيل بن علي الأكوع ، وزارة الثقافة والاعلام ، صنعاء ، 1984م : 725/4.

[4] سقاف بن علي الكاف ، حضرموت عبر (14) قرنا ، مكتبة أسامة ، بيروت 1990م ، ص29.

[5] محمد علي البار ، سقطرى الجزيرة السحرية ، ص23.

ويقول ويلستد البريطاني الذي زار سقطرى سنة (1833م) : ان نصارى سقطرى هم ممن فرّوا من اضطهاد الامبراطور قسطنطين عندما تنصرّ وفرض العقيدة الملكانية (التثليث) ، وان هؤلاء من اتباع آريوس أو نسطورس ، فرّوا من العراق والشام الى اليمن ، ومنها الى هذه الجزيرة النائية ، ونشروا المسيحية فيها[1] .

ومما يؤيد ذلك ان البرتغاليين عندما احتلوا سقطرى وجدوهم على دين نصراني مخالف لعقيدتهم الكاثوليكية ، وذلك أدى الى اضطهادهم مما سيأتي ذكره .

دخول الاسلام الى سقطرى:

وعند ظهور الاسلام اسلمت اليمن دون قتال ، فقد أسلمت قبيلة همدان في يوم واحد على يد الامام علي بن ابي طالب كرّم الله وجهه ، وارسل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله معاذ بن جبل وأبا موسى الاشعري للدعوة الى الاسلام والحكم بشريعته بعد أن اسلم باذان حاكم صنعاء (وهو من أصل فارسي ، حيث كانت فارس تحكم مناطق من اليمن ، وهو من الابناء أي : الفرس الذي تزاوجوا مع أهل اليمن) .

وانتشر الاسلام في مخاليف اليمن كلها ، ومنها المهرة ، وبما ان قبيلة المهرة كانت تسكن ايضا في سقطرى وتحكمها ، فإن الاسلام بدأ يغزو سقطرى ، وتحولت السواحل كلها الى الاسلام طواعية ، وبقيت المناطق الجبلية تحكمها النصرانية ، فتركهم المسلمون على دينهم لان الاسلام دين السماحة واليسر يعلن في كتابه الخالد :{ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**}[البقرة: 256] .

وقد ذكر أبو الريحان البيروني في كتابه (الصيدنة) نقلا عن العماني (لم يذكر اسمه ولا اسم كتابه) : أن سكان سقطرى من النصارى ووالييهم أسقف منهم . (والمقصود بذلك وسط سقطرى وجبالها ، لان السواحل كانت قد تحولت الى الاسلام)[2].

وذكر ابن المجاور المتوفى سنة (690هـ/1291م) أن سكانها (نصارى سحرة) وذكر عدة قصص من قوة سحرهم ، وقال : ان سكان الجبال النصارى سحرة ، وسكان الوطاء (السواحل) لديهم العين.

وقد ذكر ابن ماجد (شهاب الدين أحمد بن ماجد السعدي أشهر ملاحي العرب) أن سكان سقطرى خليط من النصارى والمسلمين وغيرهم ، وسكانها كثيرون يبلغون عشرين ألفا .. " واستولى على هذه الجزيرة كثيرون ، ولكنها لم تكن خالصة لأحد سوى سكانها الاصليين وهم من المهرة" كما ينقله عنه المستشرق والسياسي الروسي فيتالي نعومكين[3] والمستشرق

---

[1] محمد علي البار ، سقطرى الجزيرة السحرية ، ص23

[2] أبو الريحان البيروني ، كتاب الصيدنة ، تحقيق :د. رنا إحسان إلاهي والحكيم محمد سعير ،

[3] Vitaly Naumkin: The Island of Phoenix, Ithaca Press. U.K, 1993, P24-51

البريطاني سارجنت[1].

وبقيت سقطرى على النصرانية رغم دخول الاسلام الى سواحلها ، وكان يحكم النصارى – سكان المناطق الجبلية – أسقف منهم ، وفي بعض الاحيان كانت تتولى أمورهم امرأة ، وكانت نواقيسهم خشبية بسيطة ، ويحملون صلبانا خشبية معلقة بأعناقهم وعلى صدورهم .

سقطرى وحضرموت في عهد الشراة (الخوارج) ثم الاباضية من عمان:

وقد استمرت حضرموت وسقطرى في سلام طوال العهد الراشدي ، ومعظم العهد الاموي حتى قرب نهايته عندما ثار عبد الله بن يحيى الكندي سنة(129هـ) المعروف بطالب الحق الذي ظهر أيام مروان بن محمد . واستولى عبد الله بن يحيى على حضرموت بما فيها المهرة وسقطرى وعمان ، وامتد حكمه الى صنعاء ، ثم الى الحرمين الشريفين ، ولكنه هزم على يد عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي ، ثم تتالت هزائم الاباضية ما عدا من لجأ منهم الى جبال عمان حيث أقاموا دولة لهم هناك . ومن عمان قويت شوكتهم مرة أخرى وأقاموا لهم دولة إباضية واحتلوا المهرة وسقطرى وحضرموت.

النصارى ينقضون العهد:

وخضعت سقطرى لحكم الأئمة الإباضية في عمان منذ العهد الجلندى بن مسعود (131-133هـ) واستمر الأمر على ذلك ، والمسلمون والنصارى في سقطرى يتعايشون في ودٍ وسلام ، ولكن الأحباش استطاعوا ان يغزوا النصارى وأمدّوهم بالسلاح والرجال فنقضوا العهد ، وقتلوا والي الامام الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي الذي امتدت فترة امامته المشهورة بالعدل من عام (237-273هـ) ، وقد قتل النصارى الوالي القاسم بن محمد الجهضمي وعددا من أفراد أسرته ورجاله ، وساقوا النساء والاطفال سبايا ، ونهبوا البلاد وتملكوها ، كما يقول المؤرخ والعلامة العماني نور الدين عبد الله بن حميد السالمي (المتوفي سنة 1332هـ) في كتابه (تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان) .

وقد قامت امرأة من أهل سقطرى من أقارب الوالي القاسم بن محمد الجهضمي بكتابة قصيدة تستنجد بالامام الصلت ، ووضعتها في أنبوبة من القصب ، فحملتها الأمواج حتى مرسى صحار في عمان ، كما تقول الرواية ، فوجدها أحد الصيادين الذي حملتها مسرعا الى الامام الصلت ، الذي اهتزّ عندما سمع القصيدة وغضب غضبا شديدا ، فأمر باعداد حملة مكونة من مئة سفينة وسفينة(لاشك أنها سفن صغار سريعة الحركة) وجعل امرة الجيش الى محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال ، وقاما بالفعل بتحرير الجزيرة من الناكثين والغادرين للعهود ،

[1] R.B.Serjeant; The Coastal Population of Socotra in "Doe: Socotra; Island of Tranquility",IMMEL Publishing Ltd 1992 P133-180

وحرّروا النساء والاطفال وبقيّ الاسرى ، ومنهم صاحبة القصيدة الزهراء الجهضمية السقطرية.

والغريب حقا ان الزهراء السقطرية استغاثت بالامام الصلت فأسرع بنجدتها في الفترة نفسها تقريبا التي استغاثت فيه امرأة مسلمة – قيل : انها من بني هاشم – أخذها الروم في عمورية ، ونادت :وامعتصماه !! فلما بلغت الدعوة المعتصم خرج في جيش جحفل لجب حتى وصل عمورية وحارب الروم ، وانتصر عليهم ، وفك الاسرى المسلمين . وكانت وقعة عمورية سنة 223هـ) ، وخلدها أبو تمام في قصيدته المشهورة التي مطلعها :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ
فِي حَدهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِد واللَّعِبِ

حيث كان المنجمون قد حذّروا المعتصم من الخروج لانه سيهزم إذا فعل في ذلك الوقت ، فأبى المعتصم الشهم ، وتحرّك بجيوشه لينقذ الاسرى المسلمين من براثن الروم ، وفيها :

بيضُ الصَّفَائِحِ لاَ سُودُ الصَّحَائِفِ فِي
مُتُونِهِنَّ جِلاءُ الشَّك والرِيَبِ

إلى أن يقول :

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّوريَّةَ انْصَرَفَتْ
مِنْكَ المُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الحَلَبِ

أبقيْتَ جِدَّ بَنِي الإسلامِ فِي صَعَدٍ
والمُشْرِكِينَ ودَارَ الشرْكِ فِي صَبَبِ

إلى آخر القصيدة العصماء المشهورة .

قصيدة الزهراء الجهضمية السقطرية للإمام الصلت[1]:

قل للإمام الذي ترجى فضائله * * * * * ابن الكرام وابن السادة النُجبِ
وابن الجحاجحة الشمّ الذين هُم * * * * * كانوا سناها وكانوا سادة العربِ
أمست سقطرى من الإسلام مقفرة * * * * * بعد الشرائع والفرقان والكتبِ

[1] نقلا عن المؤرخ والعلامة العماني نور الدين عبد الله بن حميد السالمي في كتابه (تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان) ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، عمان :164/1-181 ، سنة النشر 1997م . والقصيدة على نفس قافية وروي قصيدة أبي تمام وهي لا شك قد قيلت بعد قصيدة أبي تمام بفترة قصيرة (عشرات السنين وليست بعدها بقرون)، وعارضها الشعراء بعد ذلك من عمان ومدحوا الامام الصلت بما قام به من تحرير سقطرى واستعادة الاسرى.

وبـعـد حـيّ وهلا صـار مـغتبطـا * * * * * في ظل دولتهم بالمال والحسبِ
لم تُبقِ فيها سنـون المـحل ناضـرةً * * * * * من الغصـون ولا عـوداً من الرُطَبِ
واستبدلت بالهـدى لُفراً ومعصيةً * * * * * وبـالأذان نواقـيساً مـن الـخشبِ
وبالذراري رجـالاً لا خَـلاَقَ لـهم * * * * * من اللئـام علـوا بالقهـر والغلـبِ
جارَ النصارى علـى واليـكَ وانتهبوا * * * * * من الحريـم ولـم يألـوا من السلبِ
إذ غادروا قاسماً فـي فتيـةٍ نُجُـبِ * * * * * عقوى مسامعهم فـي سبسبٍ خـربِ
مُجـدّلين سِراعـاً لا وسـاد لـهم * * * * * للعـاديـات لسبـعٍ ضـارئ كـلبِ
وأخرجـوا حُـرم الإسـلام قـاطبة * * * * * يهتفـن بالويـلِ والأعـوال والكُربِ
قـل للإمـام الذي تُرجـى فضائله * * * * * بـأن يـغيث بنـات الدين والـحسب
كـم مـن مُنعّمةٍ بـكرٍ وثـيّبةٍ * * * * * مـن آل بيـتٍ كريـم الجدّ والنسبِ
تـدعو أبـاها إذا ما العِلـجُ همّ بها* * * * * وقـد تلقّـف منهـا موضـع اللبـبِ
وباشر العِلـجُ ما كـانت تَضُـنُ به * * * * * على الحلال بوافـي الـمهر والقـهبِ
وحـلّ كـلَ عـراءٍ من مُـلمتـها * * * * * عن سـوءةٍ لـم تزل في حوزةِ الحُجُبِ
وعن فخـوذٍ وسيقـانٍ مـدملجـةٍ * * * * * وأجعـدٍ كعنـاقيـدٍ مـن العـنب
قهراً بغيـر صـداقٍ لا ولا خُطِبت * * * * * إلا بضـرب العوالـي السُمرِ والقُضُبِ
أقولُ للعيـن والأجفـان تسعدنـي * * * * * يا عين جودي على الأحبـاب وانسكبِ
ما بال صلـتٍ ينـام الليـلَ مُغتبطاً * * * * * وفـي سقطـرى حريـم عُرضة النهبِ
يـا للرجـال أغيثـوا كـل مسلمةٍ * * * * * ولو حبوتـم علـى الأذقـانِ والرُكبِ
حتـى يعـودَ نصـاب الدين منتصباً * * * * * ويهلك الله أهـل الـجور والـريبِ
وثم يصبح دُعـا الزهراء صـادقة * * * * * بعد الفســوق وتحيى سنـة الكتبِ
ثم الصلاة علـى الـمختـار سيـدنا * * * * * خيـر البـريـة مـأمـونٍ ومنتـخبِ

قال السالمي :"فجمع الامام الجيوش ، وجهز المراكب وولى عليهم محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال ، فإن حدث بأحدهما حدث فالباقي منهما يقوم مقام صاحبه ، فإن حدث بهما جميعا حدث ، ففي مقامهما حازم بن همام وعبد الوهاب بن يزيد وعمر بن تميم . وكتب لهم كتابا بيّن فيه ما يأتون وما يذرون .

ويقال : ان جملة المراكب التي اجتمعت في هذه الغزوة مئة مركب ومركب ، فساروا اليهم ونصرهم الله عليهم ، فأخذوا البلاد وهزموا الاعداء ، ورجعوا ظافرين مستبشرين ، ومن ينصر الله ينصره الله" .

نظرة في عهد الامام الصلت لقواده وجنوده :

يبدأ الامام الصلت عهده العظيم بذكر الله وتوحيده حيث يقول : " بسم الله الرحمن الرحيم ،

إني أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، ومقاليد كل شيء عنده الواحد الاحد العلي الجدّ ، الذي ليس لعظمته حدّ ، ولا لملكه عدّ ، ولا لقدره صادّ ، ولا لأمره رادّ ، ولا له نظير ولا مضادّ ، تفرّد بفطرة الخلق ، ونصر الحقّ ، ورتق الفتق ، وعلا فدنا ، ودنا فنأى ، وسمع ورأى ، وعلم وأحصى ، وقدّر وقضى ، وأعزّ وأذّل .."

وقد صلى على المصطفى وآله وكيف أقام الله به الحجة ، وتبوّ به الأوثان ، وشرع به شرائع الايمان ، ودفع به حزب الشيطان .. ثم أمر قواده وجنوده بإخلاص التوبة لله والمبادرة بإخلاص العمل لله :

" .. والزموا تقوى الله في الغيوب ، وداووا بها داء العيوب ، وتجهّزوا للقاء الله بالطهارة من الذنوب ، فإن الله يغفر لمن يحوب .. فتوبوا الى الله من سيء ما مضى ، واصلحوا فيما بقي بما عنكم به يرضى ، وصونوا دينكم ، ولا تبيعوا دينكم بدنياكم ودنيا غيركم ، وقفوا عن الشبهات ، واحرموا عن محارم الشهوات ، وغضّوا أبصاركم عن مواقعة الخيانة ، واحفظوا فروجكم عن الحرام ، وكفّوا أيديكم وألسنتكم عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم بغير حقّ ، واجتنبوا قول الزور وأكل الحرام ، ومشارب الحرام وجماعة السوء ، ومداهنة العدو ، وأدوا الأمانات الى أهلها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون " .

وأمرهم طويلا بإقامة الصلاة في أوقاتها ، والخشوع فيها ، وكيفية صلاة الحرب ، وعند الخوف ، ثم قال : " واعلموا أني وليت عليكم يا معشر الشراة (أي الذين شروا (باعوا) أنفسهم) والمدافعة على جميع سقطرى أهل السلم منها وأهل الحرب ، وعلى الصلاة ، وقبض الزكاة ، والجزية والمصالحة والمسالمة والمحاربة لأهل النكث من النصارى ، أو من حاربكم من المشركين في سفركم ، أو في مستقرّكم على الامر والنهي ، وإعطاء الحقّ ومنع الباطل وانصاف المظلوم من الظالم ، ووضع الامور في موضعها واعطاء كل ذي حقّ نصيبه من العدل من قريب الناس وبعيدهم ، وقسم (ثلث) الصدقات على أهلها ، وتزويج النساء التي لا يصح لهن أولياء في مواضعهن بمن يرضين به ، واذا كان لها كفؤا على ما تراضوا به من الصداق ، ولا يكون الصداق أقل من أربعة دراهم ، وإقامة الوكلاء لليتامى والاغياب الذين لا أوصياء لهم ولا وكلاء في أموالهم ، وفرض الفرائض لليتامى في أموالهم ، وللنساء النفقات على أزواجهن بالعدل والمعروف .

(وليّتُ عليكم) محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال ، فاسمعوا لهما واطيعوا لهما في طاعة الله ، وفيما دعياكم اليه من حقّ ومجاهدة أعدائه مجتمعين أو متفرّقين ، في برّ أو بحر ، ولتصدق نياتكم وتحسن رعايتكم ، وتألوا على الحق قلوبكم . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .." .

ثم ذكرّهم بآيات الله والنصح لمن ولاهم ، وأن يتناصحوا ولا يتباغضوا ، ولا يغشّ بعضهم بعضا ، ولا يتفاخروا في الاحساب والانساب . وان يكونوا يدا واحدة على كلمة واحدة ، كالبنيان

يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وذكّرهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ثم قال : " وقد بغى هؤلاء النصارى وطغوا ونقضوا عهدهم ، ونرجو أن يديل الله عليهم .. فإذا سرتم أو نزلتم فأكثروا ذكر الله ، فإن بذكر الله تطمئن القلوب .. وشدّوا على ربابنة السفن أن لا يتفرقوا ، ولا يسبق بعضهم بعضا حيث يسمع بعضهم بعضا ، ان شاء الله . فإذا أقدمكم الله الى الجزيرة فتناظروا وتشاوروا ، وأرجو أن لا يجمعكم الله على ضلال..."

ثم أمرهم بأن يتقرّبوا من القرية الناكثة ، فيحاصروها ويرسلوا الى أهل العهد الذين لم ينقضوا عهدهم : " فأعلموهم أنهم آمنون على أنفسهم ودمائهم وحريمهم وذراريهم وأموالهم ، وأنكم وافون لهم بالعهد والذمة والجزية على الصلح الذي يقوم بينهم وبين المسلمين فيما مضى ، ولا ينقض ذلك ولا يبدّله ، واختاروا اليهم رجالا من خيارهم ، فوجهوهم الى هؤلاء الناقضين لعهدهم ، الناكثين على المسلمين ببغيهم ، واجعلوا ممن توجهون رجلين صالحين ممن يوثق به من أهل الصلاة .. فتأمروهم أن يصلوا الى الذين نقضوا العهد ، فتدعوهم عن لساني بألسنتكم الى الدخول في الاسلام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع حقوق الله والانتهاء عن معصيته ، فإن قبلوا ذلك فهي أفضل المنزلتين لهم ، وذلك يمحوا ما كان من حدثهم .. وان كرهوا ان يقبلوا الاسلام ويدخلوا فيه ، فلتدعوهم الى الرجعة من نكثهم ، والتوبة من حدثهم والدخول في العهد الأول الذي كان بينهم وبين المسلمين ، على ان لهم وعليهم الحق بحكم القرآن وحكم أهل القرآن من أولي العلم بالله ، وبدينه ، فإن أجابوا وتابوا ، فلتقبلوا ذلك منهم ، ولتأمروهم بترك مافي أيديهم وأيدي أصحابهم من أهل الحرب من نساء مسلمات ، ثم لا يتزوج رسلكم من عندهم حتى يقدم معه رؤساء أهل الحرب ، ويسلموا اليهم النساء المسلمات اللاتي سبوهن ، واجعلوا لرسلكم أجلا في رجعتهم لمن أجابهم ، وبالسبايا الى ذلك الأجل ، أن لا تظلموهم ولا تخادعوهم ، ولا تماكروهم بالمطل والتواني في ذهاب الايام ،فإن وصلوا اليكم بمن أجابهم من أهل الحرب وقد استسلموا من حدثهم ، وجاؤوا بالنساء المسلمات فاقبلوا ذلك منهم ، ولا تعرضوا لأحد ممن جاءكم تائبا مستأمنا مستسلما بسفك دمه ، ولا انتهاك حرمته ، ولا سبي ذريته ، ولا غنيمة ماله ، وليكونوا مثلكم آمنين "

يا الله !! هذه القمة السامقة في معاملة قوم غدروا وفجروا ، وقتلوا الأبرياء ، ونقضوا العهد ، وأخذوا أشراف المسلمين ونساءهم سبايا ، فقد أمرهم الامام الصلت ان يدعوا أولا القوم الذين لم ينكثوا العهد ، ولا يخلطوا بين الفريقين ، بل يعلموا الباقين على العهد بالامان والوفاء ، ثم يختاروا من هؤلاء القوم أرشدهم ، ويبعثوا منهم رسلا الى الناكثين مع اثنين أو واحد من أهل الصلاة (أي أهل الاسلام) لينذروا الناكثين ويدعوهم الى الاسلام ، فإن هم أجابوا فذلك يمحو حدثهم وقتلهم المسلمين ، وهم إخوة للمسلمين ، لهم مالهم ، وعليهم ما عليهم . ولهم بعد ذلك المنزلة العلى عند الله ، ويتوب الله على من تاب ، فإن هم أبوا إلا البقاء على دينهم ، فلهم ذلك ، ولكن يطالبونهم بالعودة والوفاء بالعهد الذي كان ، وأن يسلموا السبايا من المسلمات ، فإن أجابوا

لذلك فعفى الله عما سلف :

" ولا يضاروا ولا يُنتقم منهم ، بل إن طلبوا أجلا للنظرفي هذه الامور فأعطوهم الاجل وحدوا لهم الزمن "

وفي تلك الفترة حذرهم أشد التحذير من الخديعة والظلم والكذب . بل لا بد ان يحترم المسلمون أجلهم ومدتهم ، فإن رضي هؤلاء الكفار الناكثين للعهد الذين سفكوا الدماء وسبوا نساء المسلمين وذراريهم باحدى الحسنيين: الاسلام أو العودة للعهد ، فقد أمرهم بقبول ذلك منهم والعفو عما سلف من جرائمهم ، وأن يؤمنوا على أموالهم وأنفسهم وذراريهم ، ويوفي لهم بالعهد ، وان أبوا إلا القتال ، فقد أمرهم بمقاتلتهم ، والاحتساب والصبر بعد التيقن والتثبت وعدم الاستعجال ، والتأكد أنهم مصرّون على النكث ونقض العهد .

وقد أمرهم بعدم قتل النساء والاطفال والشيوخ والذين لا يقاتلون ، والزمنى والمرضى والقسس. " وأن لا يقاتلوا مواليا الا أن يقاتلهم ، فإن استأسر أخذوه ولم يقتلوه".

وأمرهم بالصبر والمصابرة والثبات عند اللقاء ، وذكر لهم في ذلك من آيات الله في كتابه الكريم ، وما جاء على لسان نبيه ورسوله من أجر المجاهدين والصابرين.

ثم اعلمهم بما يفعلون في الغنيمة مذكرا بقول الله تعالى {**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**}[الأنفال :41]، ونهاهم عن الغلول ، وأن تقسم أربعة أخماس الغنيمة على المقاتلة بالسواء ، ويعزل الخمس للإمام (الدولة) ، وأما السلاح والنساء والذرية ممن ولدوا بعد نقض العهد ، فيحملون الى الامام ليرى فيهم رأيه . وأما من ولد من هؤلاء الكفرة من النساء والذرية قبل نقض العهد فلا سبيل عليهم ولا يحملون الى الامام بل يبقون في بلدتهم :

" واذا ما التحمت الحرب بينكم وبينهم فلا تقتلوا صبيا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة .. ومن قتلتموه عند المحاربة فلا تمثلوا به ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن المُثلة" .

وأمرهم بالمحافظة على الصلوات والذكر : " ثم لا تغفلوا عن الحرس في الليل ، واجعلوه نوائبا بينكم في كل ليلة حول قريتكم ، فإنه يقال : إن الله يباهي بنفر من عباده من اهل ارضه ملائكته ، فهم مقدمة القوم اذا حملوا (أي على العدو) ، وحاميهم اذا انهزموا ، وحارسهم اذا ناموا".

وذكر لهم كيف يؤدون الصلاة في الحضر والسفر ، وفي الأمن والخوف ، وعند اشتداد القتال . ووجه القادة الى منع مجالس الله و والخمر والطرب فمن شرب الخمر أقيم عليه الحد الا من تاب منهم واستغفر فاقبلوا توبته وأقيلوا عثرته ، وردوا نفقته ورزقه :

" واعلموا انه لا يحل لأحد من المسلمين نكاح نساء النصارى من أهل سقطرى ، لا نساء أهل العهد منهم ولا نساء أهل الحرب إلا نساء الذين يقرؤون الانجيل منهم" ذلك لان من لا يقرأ الانجيل فقط بعد بهم العهد عن النصرانية ، وأشبهوا المشركين من غير أهل الكتاب في ذلك ، فلذا أخذوا حكمهم : "فلا يحل نكاح نسائهم ولا أكل ذبائحهم ولا طعامهم" .

ثم ينتهي الامام الصلت وصيته مرة اخرى بقوله : " لا تختلفوا في آرائكم ، ولا سلمكم ولا في حربكم ، وليكن رضاكم واحدا ، وغضبكم واحدا ، ووواليكم واحدا ، وعدوكم واحدا .. فإني اسأل الله ان يهديكم للائتلاف ، وأن يؤمنكم ويؤمن بكم من المخاوف ، وان يعيذكم ويعيذ بكم من الارتجاف والاختلاف ، وأن يكسيكم كل خلق واف ، وكل علم كاف ، وكل عمل صاف" ..

وقد تحقق للإمام الصلت ما اراد ، فنصر الله سبحانه وتعالى جنده واعزّ دينه ، وهزم الفئة الباغية الناقصة للعهود من نصارى الحبشة ومن شايعهم من نصارى سقطرى ، وعادت راية الاسلام عالية ، وارتفع ذكر الله من المآذن ، وحقق الله لعباده الذين اصطفى النصر والعزّ والتمكين .. وانتشرت بذلك عدالة السماء في الارض ، ودخل الناس في دين الله أفواجا لما رأوه من الاخلاق الربانية التي لم تعهد لبشر من قبل ، حيث قابل المسلمون الاساءة بالاحسان والغدر بالوفاء ، والثبات عند اللقاء ، فتم بذلك نصر الله والفتح ، وانتشر دين الله في آفاق الأرض .

وتعتبر وصية الامام الصلت وثيقة من أرقى الوثائق في الشؤون الدولية ، وخاصة في كيفية محاربة الاعداء والانذار اليهم ، ومعاملتهم بالحسنى ان هم استجابوا لنداء الحق وتابوا وثابوا رغم ما فعلوه من جرائم فظيعة بالمسلمين من قتل وسفك دماء ، واعتداء على الحرمات ، فهم اخواننا ، لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا ، فإن أبوا ذلك دعوناهم للعودة الى العهد والاستمساك به وأداء الجزية ، ومعاقبة الناكثين ، والتفريق بين من نكث العهد وبين من لم ينكث، وألا يؤخذ بريء من هؤلاء النصارى بجريرة وجريمة القتلة والسفاكين منهم ، فإذا انتصرنا عليهم وجبت المعاملة بالحسنى وتسليم الاسرى الى الامام ، وان تعود الامور الى سابق عهدها.

وهذا بالفعل ما ادى الى عودة نصارى سقطرى الى حظيرة العهد والى دخول بعضهم في دائرة الاسلام ، ومن بقي منهم على دينه كفلت له الدولة المسلمة الحرية التامة في أداء دينه وشعائره . وبقوا على ذلك حتى الغزو البرتغالي عام (1507م) الذي أدى في النهاية الى محاربة أهل سقطرى من النصارى للبرتغاليين والى الدخول في دين الاسلام داخرين كما سنذكره في الفصل التالي.

<u>البرتغاليون وجزيرة سقطرى:</u>

تنامى الى سمع ملك البرتغال دوم عمانويل الأول وصف جزيرة سقطرى عندما اضطرّ الكابتن ديجوفرناندز بريرا أن يقضي شتاء عام (1503م) في سقطرى بسبب سوء الاحوال الجوية التي منعته من الذهاب الى الهند ، فاعجبته سقطرى ، ووصف للملك مرافئها الجيدة ، ووجود الماء العذب فيها ، ووفرة المراعي ، واهم من ذلك – حسب وصفه – ان أغلب سكانها نصارى ، ويجب تخليصهم من حكامهم المسلمين (المورو) ، وبما أن المورو هم أعدى أعداء

النصرانية عامة والبرتغال خاصة ، فيجب محاربتهم أينما كانوا !! والبرتغال تحتاج الى ميناء ترسو فيه سفنهم في طريقها الى الهند ، ولذا يصبح احتلال سقطرى هدفا استراتيجيا ، وعملا يرضي الرب وينقذ سكانها النصارى من براثن هؤلاء المسلمين المورو[1].

لهذا كله أصدر الملك امره الى قواده الكبار تريستاو دي كونها والفونصو دي البوكيرك باحتلال سقطرى وبناء قلعة فيها ، كما نظم الملك ارسال الرهبان الفرنسيسكان ليبنوا الكنائس ، وليعيدوا السكان الى النصرانية الحقة ، أي الكاثوليكية ، لأن سكان سقطرى النصارى هم من فرقة النساطرة القديمة التي كانت موجودة في العراق .

وبعد معركة غير متكافئة بين الحاج ابراهيم بن عفرير حاكم سقرطى والقوات البرتغالية المدججة بالمدافع والاسلحة النارية ، استطاعت القوات البرتغالية ان تحتل سقطرى بعد مقاومة بطولية اسطورية من الحاج ابراهيم بن عفرير وقواته البسيطة التي اثارت اعجاب القائد البرتغالي الذي كاد ان يقتل في المعركة ، واستغرقت المعارك عدة ايام في نهاية ابريل وأوائل مايو من عام (1507م) .

وحاول البرتغاليون ان يسترضوا نصارى سقطرى وهدموا مسجد السوق ، وأقاموا مكانه كنيسة باسم (سيدتنا سيدة النصر)"Our Lady of The Victory" وأقاموا قداسا ترأسه الراهب الفرنسيسكاني أنتونيو دي لوريرو[2].

ولكن نصارى سقطرى رفضوا التعاون مع المحتل الاجنبي البرتغالي رغم وحدة الدين ، ووقفوا مع ابناء عمومتهم من المهرة المسلمين الذين لم يروا منهم الا كل سماحة وحسن معاملة .

ووجد نصارى سقطرى ضغوطا متتالية من البرتغاليين لكي يتحولوا الى الكاثوليكية ، الدين الحق – حسب زعمهم- ويتركوا دينهم النصراني القديم (النسطورية) ، وتعاون نصارى سقطرى مع المسلمين فمنعوا البرتغاليين الماء والغذاء إلا بكميات ضئيلة ، وعندما عاد البوكيرك من رحلته الى الهند عام(1508م) وجد الحامية في سقطرى في حالة يرثى لها ، فغضب غضبا شديدا ، وقتل عددا من الاهالي المسلمين والنصارى ، بما فيهم عدد من الاطفال والشيوخ والعجزة ، وفرض على الأهالي ان يزودوا الحامية كل سنة بستمائة رأس من الغنم وعشرين بقرة وأربعين وقرا من التمر، ثم غادر سقطرى عام (1510م) ليصبح حاكما عاما في الممالك البرتغالية في الهند.

---

[1] فيتالي نعومكين ، جزيرة العنقاء . Vitaly Naumkin; The Island of Phoenix, Ithaca Press,U.K, 1993, P24-51

[2] المصدر الانكليزي السابق نفسه.

وقام أبناء الشهيد الحاج ابراهيم بن عفرير بالهجوم على البرتغاليين انتقاما لوالدهم ، وقتلوا منهم عشرة وغنموا بعض الغنائم .

وتبين للبرتغاليين ان سكان سقطرى – مسلمين ونصارى – يقفون ضدهم ، حتى قال القائد البرتغالي كاستنهيدا (Castanheda) : " ان نصارى سقطرى يفضلون المورو المسلمين علينا ويتآمرون معهم ضدنا"[1]

ووصف دي جواز (De Gois) كيف ان سكان سقطرى النصارى ثاروا ضد البرتغاليين وتآمروا مع ابناء عمومتهم من المسلمين ضد إخوانهم النصارى من البرتغاليين ، وقد منعوا عنهم المؤونة ، وفي خلال فترة وجيزة مات عدد من البرتغاليين في قلعتهم بسبب الاغتيالات والجوع والمرض حتى ان حاكم سقطرى الجديد فيريرا (Ferreri) الذي وصل اليها في نوفمبر (1509) مات في أغسطس عام (1510م)[2] .

وكثرت التقارير لدى ملك البرتغال تنصحه بأن يتخلى عن سقطرى ، لذا أمر الملك قائده في الهند البوكيرك ان يسحب القوات البرتغالية الموجودة في سقطرى ، وبالفعل أرسل البوكيرك سفينتين حربيتين كبيرتين عام (1511م) ، وسحب الحامية ودك القلعة والمسجد ، وأخذ معه كل ما يمكن أخذه حتى رداء الكاهن وأدوات الطبخ.

وتخلصت سقطرى من حكم البرتغاليين الى الابد وبدأت علاقة تجارية معهم ، حيث كانوا يأتون للتزود بالمياه والتموين ، وتكرر ذلك عدة مرات (عام 1518 وعام 1523وعام 1527 وعام 1541م) .

وفي عام (1541م) زار الأدميرال جوا دي كاسترو سقطرى ، وزار مدينة السوق في الشرق ، وقلنسية في الغرب ، وكتب في مذكراته ان السقطريين يحترمون الانجيل ، وأنهم قد تنصروا منذ زمن قديم جدا بواسطة القديس توماس .. وأن السكان المحليين قد طال بهم العهد حتى جهلوا الديانة المسيحية .. وليس لهؤلاء السكان أسقف أو مطران ، ويعيشون حياة بدائية .

وفي عام (1544م) وصل راهبان من الفرنسسكان البرتغاليين الى سقطرى لنشر المسيحية الكاثوليكية ولتعميد أهلها بما فيهم النصارى ، وقد زعما كذبا أنهما قاما بتعميد جميع سكان سقطرى وتحويلهم الى نصارى كاثوليك . وفي عام (1562م) زار البادري (الأب) جاسير كويلهو والبادري جوالوبس جزيرة سقطرى ومكثا فيها ينشران الكاثوليكية حتى لاقا حتفيهما بالموت الطبيعي .

---

[1] فيتالي نعومكين (المصدر السابق) ، برين دو ، جزيرة السكينة .Brain Doe, Island of Tranquility. IMMEL Publishing London, 1992, P21-39

[2] المصدر الانكليزي السابق نفسه .

والغريب حقا ان شاول(Chaul) كتب الى ملكة البرتغال عام (1544م) بعد ان زار سقطرى قائلا : "إن الشيخ حاكم سقطرى لا يجبر أحدا من السكان على أن يعتنق الاسلام ، بل يترك لهم الحرية كاملة في ممارسة شعائرهم ، ولكن سيكون في مصلحة إلهنا القوي أن نبيده ، رغم ان الشيخ يقول : إنه صديقنا ، وإن بلاده هي الوحيدة التي تستطيع سفننا ان ترسو في سواحلها وموانيها بكل أمان وترحاب في أثناء سفرنا الى جوا في الهند .

" وعلينا في الوقت الحاضر ان لا نغضب الشيخ ، لاننا لو فعلنا ذلك لطلب من الاتراك ان يأتوا الى قشن (عاصمة المهرة) والى سقطرى ، وذلك سيكون أسوأ شيء نرغب فيه ، وقد قام حاكم قشن وحاكم سقطرى بالتحالف معنا خوفا من الاتراك ، وسنحتاج الى قوة كبيرة جدا لاخضاع المهرة وسقطرى تقدر بخمسة عشر الى عشرين ألف جندي ، وذلك أمر متعذر علينا في الوقت الحاضر"[1] .

وهكذا البرتغاليون مثل بقية الأوربيين يعاملون المسلمين في كل مكان وزمان بنية الغدر والفتك بهم عندما تحين الفرصة ، بينما يستخدمون أساليب الخداع والكذب واظهار الصداقة.

وقد بذل البرتغاليون جهودا مضنية في تنصير سكان سقطرى ، ورغم هذه الجهود الضخمة ، بل ربما بسببها تحول سكان سقطرى في الجبال من نصرانيتهم القديمة الى الاسلام وبحلول القرن السابع عشر الميلادي كادت تختفي النصرانية ، وعندما زار القديس أغناطيوس لويولا (St Ignatius Loyola) سقطرى غضب من نصارى سقطرى لضعف عقيدتهم.

ويعترف الراهب فينسينزو (Vincenzo) الذي زار سقطرى أواخر االقرن السابع عشر الميلادي : أن المسيحية كادت تختفي من سقطرى ، وان السكان النصارى قد تحولوا الى الاسلام زرافات ووحدانا[2].

ويقول فيتالي نعومكين[3] : " واختفت آثار البرتغال من سقطرى ما عدا بقايا القلعة المهدمة في السوق ، وبقايا المسجد الذي حوله البرتغاليون الى كنيسة ، وبعض أشجار البرتغال التي أدخلوها الى الجزيرة .

" ولا يذكر أهل سقطرى اليوم اي شيء عن البرتغاليين مما يؤكد ان احتلال البرتغاليين لسقطرى وتكرر زياراتهم لها كان فترة عابرة لم تترك أي أثر" .

ولكن ويلستد البريطاني الذي زار سقطرى عام 1834م قال في مذكراته : إن قبائل السيهي والسيفي والدرمي والزرزحي يرجعون الى أصول برتغالية ، وانهم كانوا يعرفون باسم الكمهين (Camhane) ، ولعل ذلك تحريف لاسم القائد البرتغالي دي كونها ، ويقول ويلستد: إن ملامح هؤلاء أوربية مختلطة بالدماء العربية ، وأنهم جميعهم مسلمون"[4] .

وهكذا تحول نصارى سقطرى وبعض نصارى البرتغال الى الاسلام طواعية ، وذلك بسبب سماحة الاسلام والمسلمين ، وحسن معاملتهم لغير المسلمين.

---

[1] فيتالي نعومكين ، جزيرة العنقاء (مصدر سابق باللغة الانكليزية)

[2] المصدر الانكليزي السابق نفسه.

[3] المصدر الانكليزي السابق نفسه.

[4] مذكرات ويلستد التي نقلها البروفسور برين دو في كتابه (سقطرى جزيرة السكينة) ، ص217،218. Brain Doe; Island of Tranquility. IMMEL Publishing Ltd, London, 1992, P217, 218

الشاهد السابع **التّداوي عند الطبيب غير المسلم**

لقد كان معظم أطباء البلاط والدولة في العصر الأموي والعصر العباسي وفي الدولة الفاطمية والأيوبية والسلجوقية والمماليك الى الدولة العثمانية من اليهود ، أو النصارى ، أو الصابئة ، وكان بعضهم من الهنادكة . وكانت المستشفيات في البلاد الاسلامية تضم أطباء من مختلف الملل من الصابئة واليهود والنصارى والمسلمين يعملون بروح المودة والتعاون مع وجود التنافس المعهود بين اصحاب كل صنعة . ولم يكن التنافس والتماحك الذي قد يحدث بسبب اختلاف الاديان ، بل بسبب اختلاف الشخصيات .. وذلك لم يؤثر قط على عملهم كفريق طبي .

وكان علماء الاسلام ينعون على المسلمين تركهم الطب واهتمامهم بالفقه والعلوم الاخرى ، وأول من فعل ذلك الامام الشافعي ، وكان يقول : لولا اشتغاله بالفقه وحاجة الأمة له لاشتغل بالطب ، ومن أقواله المشهورة : " العلم علمان : علم الاديان (وهو الفقه) ، وعلم الأبدان (وهو الطب) ".

وقال الامام الغزالي في كتابه (احياء علوم الدين)[1] :" فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من أهل الذمة ، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من أحكام الفقه (مثل ترك الصوم ، أو الدواء المعجون بالخمر .. الخ) ، ثم لا نرى أحدا يشتغل به ، ويتهاترون (أي يقبلون بشدة) على الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات ، والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع" ، وانتقد ذلك انتقادا شديدا ، واعتبر علم الطب من فروض الكفايات ، وأن الأمة تأثم بعدم وجود العدد الكافي من الاطباء من المسلمين .

وقد شارك الغزالي هذا النكير محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف باسم ابن الاخوة القرشي في كتابه (معالم القربة في أحكام الحسبة) ، حيث قال : " الطب من فروض الكفاية ، ولا قائم به من المسلمين . وكم من بلد ليس فيه طبيب الا من أهل الذمة ، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالطب من أحكام (الدين) ، ولا نرى أحدا يشتغل به ، ويتهافتون على علم الفقه ، والبلد مشحون من الفقهاء ، فكيف يرخص الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة ، واهمال مالاقائم به"[2] .

والواقع ان المسلمين كانوا في منتهى التسامح مع غير المسلمين بشرط ان لا يظهروا العداء للإسلام والمسلمين ، على عكس ما يفعله اليهود والنصارى عندما تكون لهم الشوكة ، فلا يرى المسلمون منهم الا الذبح . حدث ذلك في الماضي في الحروب الصليبية والاندلس ، ويحدث اليوم

[1] إحياء علوم الدين :21/1

[2] ابن الأخوة القرشي : معالم القربة في أحكام الحسبة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ،ص254

في فلسطين وافغانستان والبوسنة والهرسك والعراق وكوسوفو ...

في استئجار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أريقط ليكون دليله ، دليل على جواز التداوي عند الطبيب غير مسلم:

هذا وقد استأجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أريقط من بني الديل ليكون دليله في الهجرة من مكة الى المدينة ، وكان ابن أريقط مشركا على دين قريش . ورغم ان قرار الهجرة أمر خطير الا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وثق فيه وجعله دليله .

أخرج البخاري في (صحيحه)[1] : عن عائشة رضي الله عنها قالت :"استأجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل ، هاديا خرّيتا(أي ماهرا حاذقا) وهو على دين كفار قريش ، فدفعا اليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاثة ليال" .

وذكر ذلك أيضا ابن اسحاق في (السيرة) قال: "استأجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أرقط أو أريقط ، رجلا من بني الدئل – وكان مشركا – يدلهما على الطريق ، فكانتا (أي الراحلتين) عنده يرعاهما لميعادهما"[2] .

قال ابن القيم في (بدائع الفوائد) : " في استئجار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أريقط هاديا في وقت الهجرة – وهو كافر – دليل على جواز الرجوع الى الكافر في الطب والادوية والحساب والعيوب ونحوها ، ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة .

ولا يلزم من كونه كافرا ألا يوثق به في شيء أصلا ، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق ، ولا سيما في مثل طريق الهجرة"[3] .

وقال ابن مفلح في كتاب (الآداب الشرعية)[4]:

قال الشيخ تقي الدين (ابن تيمية) :" إذا كان اليهودي أو النصراني خبيرا بالطب ، ثقة عند الانسان – جاز له ان يستطبّ – كما يجوز له ان يودعه المال وان يعامله . قال تعالى { **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**}[آل عمران : 75] ، ثم ذكر ان قبيلة خزاعة كانت عيبة نصح (أي موضع سرّ) النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، مسلمهم وكافرهم .. وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ان

---

[1] صحيح البخاري :76/5.

[2] سيرة ابن اسحاق :485/1

[3] بدائع الفوائد ، لابن القيم : 208/3.

[4] محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي : الآداب الشرعية والمصالح المرعية (في الاصل: المنح المرعية، وهو تصحيف) ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة :441/2

يستطبّ عند الحارث بن كلدة وكان مشركا.

وأن المداواة عند الكافر أو معاملته ماليا جائزة وخاصة عند عدم توفر الطبيب المسلم ، أو ان الطبيب الكافر أمهر في طبّه من المسلم.

الحارث بن كلدة الثقفي:

والحارث بن كلدة الثقفي من الطائف ، درس الطب في جنديسابور ، المدرسة الطبية المشهورة في فارس ، وعاش في الجاهلية وأدرك الاسلام ، واشتهر بالطب واختلف في اسلامه ، فذكر ابن عبد البرّ في (الاستيعاب في معرفة الاصحاب)[1] أنه مات مشركا ، بينما زعم ابن أبي أصيبعة أنه عاش وأسلم . ومنهم من قال : مات في زمن عمر . ومنهم من قال : بل عاش حتى زمن معاوية[2] .

والخلاصة ان الحارث بن كلدة داوى سعد بن أبي وقاص بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان آنذاك مشركا[3].

فقد أخرج أبو داود في (سننه) : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعودني ، فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي . وقال " إنك رجل مفؤود ، فآت الحارث بن كلدة أخا ثقيف ، فإنه رجل يتطبّب ، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدّك بهن"[4] ، والحديث فيه ضعف في سنده ، وقد أفاض في ذكره وشرحه كل من كتب في الطب النبوي مثل ابن القيم وعبد الملك بن حبيب الاندلسي والموفق عبد اللطيف البغدادي والذهبي والكحال ابن طرخان ، والسيوطي في (المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي).

(زينب) زوجة عبد الله بن مسعود يرقيها يهودي ، و(عائشة) ترقيها يهودية:

وقد روى أبو داود في (سننه) : عن زينب زوجة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه انها كانت تختلف الى فلان اليهودي : يرقيني (فقد كانت عينها تقذف بالرمص والوسخ) فإذا رقاني سكنت[5].

وأخرج الامام مالك في (الموطأ)[6] ، والبيهقي في (سننه)[7] عن عمرة بنت عبد الرحمن رضي الله عنها : أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها ، فقال أبو بكر : أرقيها بكتاب الله .

---

[1] 283/1.

[2] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق د. نزار رضا ، دار الحياة ، بيروت ،ص161، ت167.

[3] ابن حجر العسقلاني : الاصابة في معرفة الصحابة :288/1

[4] سنن أبي داود :335/5.

[5] عون المعبود شرح سنن أبي داود :367/10، كتاب الطب.

[6] الموطأ ، ص 663.

[7] سنن البيهقي: 349/9

وقد سئل الشافعي : أيرقي أهل الكتاب المسلمين ؟ .

قال : نعم ، إذا رقوا بما يعرف من ذكر الله .

وكتب هؤلاء اليهود فيها حق وفيها باطل كثير . فإن رقوا بآيات صحيحة واضحة المعاني ، فذلك مما يجوز عند أبي بكر رضي الله عنه ، وأخذ به الشافعي . أما إذا لم يكن الكلام واضحا معروفا بينا فلا يجوز.

وكان عروة بن الزبير يقول لخالته عائشة رضي الله عنها : يا أمتاه ! لا أعجب من فقهك ، أقول : زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنة ابي بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب أقول : ابنة ابي بكر ، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ؟ ومن أين هو ؟! فضربت على منكبه وقالت : أي عريّ (تصغير عروة) إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يسقم عند آخر عمره ، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات ، وكنت أعالجها له ، فمن ثمّ . وفي رواية : " كانت أطباء العرب والعجم يبعثون له فتعلّمت ذلك"[1] .

والشاهد أن أطباء العرب والعجم والبعوث كان فيهم المسلم والكافر ، فلم يمنع التداوي عند الكافر والاستفادة من وصفاته الطبيّ (النعوت)

ذكر بعض الاطباء من أهل الذمة في العهود الاسلامية :

لقد وضعت كتابا بعنوان (مداواة الرجل للمرأة ومداواة الكافر للمسلم)[2] ، وفيه فصول عن الاطباء من أهل الذمة من العهد النبوي الى العهد الايوبي . وقد نقلت معظم ما جاء فيه من كتاب ابن أبي أصيبعة (عيون الانباء في طبقات الاطباء) ، وكان هو طبيبا مشهورا في العهد الايوبي . وسنوجز هنا بعض ما جاء فيه .

[1] أخرجه الامام أحمد في (مسنده) ، والهيثمي في (مجمع الزوائد) و، والبزار والطبراني في (الأوسط) و (الكبير) .

[2] محمد علي البار : مداواة الرجل للمرأة ومداواة الكافر للمسلم ، دار المنارة ، جدة. وهو عبارة عن بحث مقدم لمجمع الفقه الاسلامي في دورته الثامنة المنعقدة في برونـاي دار السلام ، محرم 1414هـ /يونيه 1993م .

الاطباء من غير المسلمين

في العهد النبوي والراشدي

1 -الحارث بن كلدة الثقفي الذي اشتهر بالطب وتعلمه في جنديسابور ، وهو أشهر أطباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام . وقد تقدّم الكلام عنه ، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه بأن يذهب اليه ليداويه.

2 -اليهودية التي رقت عائشة رضي الله عنها وقول أبي بكر لها : أرقيها بكتاب الله ، وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

3 - اليهودي الذي رقى زينب زوجة عبد الله بن مسعود .

4 -ارسل معاوية بن أبي سفيان عندما كان واليا على الشام في زمن عثمان رضي الله عنه طبيبا نصرانيا من الشام ليداوي عثمان من مرض أصابه[1].

[1] ذكر ذلك فقيه الاندلس عبد الملك بن حبيب الألبيري في كتابه(الطب النبوي). شرح وتعليق : الدكتور محمد علي البار ، إصدار دار القلم – دمشق – بيروت ، ص35. وقال : انه كان لعثمان رضي الله عنه طبيبان بعث بأحدهما معاوية والآخر عبد الله بن ربيعة.

الاطباء من غير المسلمين

في العهد الاموي

أطباء معاوية بن أبي سفيان في خلافته : كان له طبيبان نصرانيان :

1 -فأما الاول فهو ابن أثال ، وكان خبيرا بالسموم والادوية المركّبة والمفردة . وأُتّهم ابن اثال بصنع السم للحسن بن علي رضي الله عنه والاشتر النخعي وأُتّهم أيضا بسم الصحابي سعد بن أبي وقاص حتى يخلو الجو لمعاوية فيقوم بولاية العهد لابنه يزيد. وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد ، وقد انتقم خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد لعمّه ، ورحل من مكة الى الشام فاغتال ابن أثال انتقاما لمقتل عبد الرحمن بن خالد الذي كان أهل الشام يميلون اليه ، وبالتالي كان يشكّل عقبة كأداء في مشروع ولاية العهد ليزيد بن معاوية . وامر معاوية بحبس خالد بن المهاجر ، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر ألف درهم ، أخذ منها لنفسه ستة آلاف . وقد فصلنا في كتابنا (مداواة الرجل للمرأة ومداواة الكافر للمسلم) في قصة سم هؤلاء الثلاثة ، فليرجع اليه من أراد التفصيل .

2 - وأما الطبيب الثاني فكان أبا الحكم الدمشقي ، وكان عالما بأنواع العلاج والادوية والطب ، ولم يكن يتعاطى السموم ، ولا يرضى بذلك . وعُمّر طويلا حتى جاوز المئة ، وقد استطبّ معاوية بن ابي سفيان ، ثم يزيد بن معاوية ، ثم عبد الملك بن مروان ، ومات في عهد الوليد.

أطباء في الدولة الاموية غير من سبق ، هم :

3 -الحكم الدمشقي ، وهو ابن أبي الحكم المتقدم ذكره .

4 - ثم حفيده عيسى بن الحكم ، وقد اشتهر الاخير هذا باسم مسيح لبراعته في المداواة . وكل واحد من أسرة أبي الحكم هؤلاء كان معمّرا جاوز المئة . ولذا طال العهد بالحفيد عيسى بن الحكم حتى استمرّ الى عهد هارون الرشيد ابن المهدي بن المنصور العباسي ، وقد داوى أم ولد الرشيد.

5 - ومنهم تياذوق الذي كان طبيبا خاصا للحجّاج بن يوسف الثقفي ، وكان الحجّاج يقرّبه ، ويعتمد عليه في الطب .

6 - ومنهم عبد الملك بن أبجر الكناني ، كان نصرانيا مقيما في الاسكندرية ، وكان طبيبا لعمر بن عبد العزيز عندما كان والده عبد العزيز بن مروان واليا على مصر ، واستطاع عمر بن عبد العزيز ان يقنعه بالاسلام فاسلم ، وحسن اسلامه ، ووضع كتبا

في الرد على افتراءات اليهود والنصارى ، وأبان زيف نحلتهم وتحريفهم للتوراة والانجيل ، وأوضح ما جاء في كتبهم من البشارة ووصف النبي محمد صلى الله عليه وأله وسلم .

ولما وصلت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه استدعى عبد الملك بن أبجر ، وصار اليه تدريس الطب في انطاكية وحرّان.

7 -ومنهم فرات بن شحناتا اليهودي وهو من أبرز تلاميذ تياذوق ، وخدم مثله الحجّاج بن يوسف الثقفي بالطب ، وعاش حتى خلافة ابي جعفر المنصور العباسي .

وعمل طبيبا للامير العباسي عيسى بن موسى ، وكان عيسى يعتمد عليه في الطب ، وجعله محل مشورته وثقته ، وكان الامير عيسى واليا على الكوفة ، ووليا للعهد ، ولكن المنصور استطاع ابعاده وجعل الولاية لابنه المهدي .

8 -ومنهم ماسرجون البصري يهودي من أصل فارسي ، درس الطب في جنديسابور ، واستوطن البصرة أيام بني مروان ، وترجم كناش أهرن بن أعين للعربية ، وطال عمره حتى ادرك بني العباس .

الاطباء من غير المسلمين

في العهد العباسي

أ - الاطباء من النصارى :

بالاضافة الى ما تقدم من أطباء عاشوا في العهد الاموي ، هناك عدد كبير من الاطباء في العصور العباسية ، **اشهرهم عائلة بختشوع**[1] ، وهي عائلة اشتهرت بالطب وكان لها حظوة كبيرة لدى الخلفاء العباسيين .

1 -وأول هذه العائلة في الظهور هو : جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع الذي استدعاه المنصور من جنديسابور حيث كان رئيسا لمستشفاها ، وكان قد داوى المنصور من مرض أصاب معدته سنة 147هـ/765م ، فأعجب به المنصور ، وجعله طبيبا له ولاسرته.

وكان الخليفة المنصور العباسي يزور جورجيوس ماشيا عندما مرض هذا الاخير ، ويعظّم أمره . وقال له ذات مرة : " يا جورجس! اتقّ الله وأسلم وأنا أضمن لك الجنة" ، فقال جورجس : " أنا على دين آبائي أموت ، وحيث كان آبائي أحب أن أكون إما في الجنة أو في جهنم ، يا أمير المؤمنين" ، فضحك الخليفة وأذن له بالسفر الى جنديسابور ، واعطاه عشرة آلاف دينار ذهبا . هذا مع ان المنصور العباسي كان يسمى أبا الدوانيق (العملة النحاسية الرخيصة التي لا قيمة لها) لشدّة بخله وحرصه ، حيث كان يؤسس دولة ويبني مدينة بغداد ، فكان محتاجا لكل درهم ودينار ، ورغم ذلك يعطي جورجيوس عشرة آلاف دينار ذهبا!![2]

2 -بختيشوع بن جورجيوس : خلف والده في رياسة الطب في جنديسابور ، واستقدمه هارون الرشيد فصار طبيبه ، وبلغ لديه الخطوة العظمى والمكانة السامقة ، وجمع الاموال والضياع.

3 -وتولى بعده ابنه جبرائيل بن بختيشوع ، والتحق بخدمة الرشيد حتى صار كبير الاطباء ، وبلغ من المكانة مالم يبلغه غيره . وجمع جبرائيل بن يختيشوع ثروة

---

[1] يخت: تعني عبد ، ويشوع : أي يسوع ، والمقصود بذلك عيسى عليه السلام

[2] ذكر الامام ابن القيم في كتابه (أحكام أهل الذمة) : 160/1: أن المنصور ولي النصارى بعض الولايات على المسلمين ، فقام شبيب بن شبه وخاطب أمير المؤمنين وحذره من مغبة تولية النصارى على المسلمين وظلمهم للرعية: يا أمير المؤمنين سلطت (أهل) الذمة على المسلمين ، ظلموهم وعسفوهم ، وأخذوا ضياعهم ، وغضبوا أموالهم ، وجاروا عليهم ، واتخذوك سلما لشهواتهم ، وانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا يوم القيامة فانتبه المنصور ، فبدأ بعزلهم بالتدريج

طائلة من الرشيد والبرامكة ، ثم المأمون بعد وفاة الرشيد . وكانت له المكانة العظمى عند الرشيد بعد ان احتال لمداواة محظيٍّ من محظيّات هارون الرشيد حتى بلغ السفه بخليفة المسلمين أن يقول : " من كانت له حاجة اليّ فليخاطب بها جبرائيل ، لاني سأفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني" فكان الوزراء والقواد ورجال الدولة يقصدون جبرائيل في مطالبهم من الرشيد ، ويجزلون له العطاء . وهذا أمر خطير خطير قد حذّر منه الفقهاء وأن لا يكون لهؤلاء الاطباء واضرابهم من اهل الذمة تلك المكانة السامقة لدى الخلفاء ، حتى لا يتحكّموا في شؤون الدولة وأمر المسلمين[1].

ولما مرض المأمون بعد أن دخل بغداد سنة 205هـ وقضى على أخيه الأمين مرض فعالجه الاطباء ففشلوا ، ثم عالجه جبرائيل فبرأ في ثلاثة ايام ، فسرّ المأمون ، وأمر له بألف الف (مليون) درهم فضة ، وألف كرّ من الحنطة (الكر=60قفيزا=119.5 كيلو غراما) ، وصار كل من يتقلد عملا لا يخرج الى عمله الا بعد ان يلقى جبرائيل ويكرمه .

وكان موكب جبرائيل هذا يشبه موكب الخليفة في عظمته وأبهته ، وعند موته ترك دورا وبساتين بسبعين مليون درهم ، وأراضي زراعية باثني عشر مليون ، وآلات بثمانية ملايين ، وجواهر بخمسين مليون درهم ، عدا ما تركه من عشرات الملايين من الدراهم .

فأي سفه بلغ بهؤلاء الخلفاء والكبراء في الدولة الاسلامية حتى يعطوا هؤلاء الاطباء من أهل الذمة كل هذه الاموال وكلّ هذا المكانة السامقة ، حتى إن هارون الرشيد قال لجبرائيل بعد ان عاد من الحج : "دعوت الله لك –والله – في الموقف دعاء كثيرا . ثم التفت الى بني هاشم ، فقال : عسى أنكرتم قولي هذا .

فقالوا : يا سيدنا ذمي !!

فقال الرشيد : نعم ، ولكن صلاح بدني وقوامه به وصلاح المسلمين بي ، فصلاحهم بصلاحه وبقائه !! فقالوا : صدقت يا أمير المؤمنين!!" .

فأي سفه وأي استبداد في هذا النظام الفاسد ، الذي جعل الخلافة الاسلامية الراشدة تتحول الى ملك عضوض والى ملك جبري حتى يقول لهم مثل ما قال فرعون : **{مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ }**[غافر : 29] .

---

[1] لما مرض هارون الرشيد في آخر عهده فشل في علاجه جبرائيل ابن يختيشوع واضرابه ، فغضب عليهم الرشيد وصادر أموالهم ، ولكن المأمون أعاد ها لهم، وأمر الرشيد بأن يصرف أهل الذمة من الولايات ولا يتركون يتحكمون فيالمسلمين وأموالهم ، ولكن ذلك لم يتم لوفاة الرشيد.

والغريب حقا أن فرعون وجد من يردّ عليه في قصة مؤمن آل فرعون.

أما هارون الرشيد وأضرابه فمن يجرؤ على الردّ عليه ، بل الكلّ يقولون : صدقت يا سيدنا . ولو أنفق مال الدولة كله على سفاهاته وعلى بختيشوع وأضرابه ، حتى يبلغ ان يدعو الله له بطول البقاء ، لان بقاء بختيشوع فيه صلاح لبدن الخليفة ، وصلاح بدن الخليفة صلاح للأمة ، فعلى الامة جمعاء أن تدعو لجبرائيل بن بختيشوع!!

ولما مات جبرائيل ورث مكانته بختيشوع بن جبرائيل وصار طبيبا للمأمون[1] ثم للمعتصم ثم المتوكل ، وبلغ في زمن هذا الاخير مكانة عالية ، حتى قال ابن أصيبعة : " بلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ما لم يبلغه أحد من سائر الاطباء الذين كانوا في عصره . وكان يضاهي الخليفة المتوكل في اللباس والفرش" . وكان موكبه لا يقل أبدا عن موكب الخليفة في البهاء وكثرة الخدم والحشم والراكبين والماشين بين يديه.

4 - ثم ظهر من آل بختيشوع جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع وكان مناظرا لليهود ، منافحا عن عقيدته النصرانية . وكان أثيرا عند ملك الديلم خسر وشاه ، وعند أمير الموصل حسام الدولة ، وعند أمير مافارقين . وكلهم كان يبالغ في اكرامه .

ثم تولى ابنه عبيد بن جبرائيل الطب بمافارقين وكان معاصرا لابن بطلان ، ويجتمع به ، ويأنس اليه ، وله كتب كثيرة في الطب.

5 -ثم ظهر يوحنا بن بختيشوع الذي كان طبيبا للخليفة العباسي الموفق بالله (طلحة) بن جعفر المتوكل . وكان الموفق يحبه كثيرا ويدعوه بمفرّج كربى ، وكان اذا جلس للشراب يجلس يوحنا عن يمينه ويجعله أخص ندمائه.

وقال مرّة لوزيره صاعد عندما اشتكاه يوحنا الى الخليفة :" أنت تعلم يا صاعد انه ليس لي في هذه الدنيا من استريح اليه ، ويعلم مافي سويداء قلبي ، وهو مفرج كربي غير يوحنا . وانت دائب الحيلة على تنغيص عيشي بشغل قلبه عن خدمته" فذهب الوزير صاعد من فوره واسترضى يوحنا وكتب له جميع الضياع التي يدعيها..

[1] ارتفعت مكانة أهل الذمة في عهد المأمون وتولوا الولايات الهامة واستولوا على أموال المسلمين وضياعهم ، ومن بينهم الكسائي استاذ المأمون ، فاغرى المأمون بهم ، وكثرت الشكايات من المسلمين ، فأمر المأمون بعزل أهل الذمة من الولايات العامة ، فصرف (2800) منهم ، وبقيت في الأقاليم منهم بقايا ، وخاصة من اليهود والسامرة ، فأمر بعزلهم من كل ولاية هامة وعامة ،(انظر ابن القيم : أحكام أهل الذمة : 162/1) . ورغم ذلك بقي منهم عدد في مصر وغيرها.

6 -ثم تولى بختيشوع بن يوحنا مكانة والده لدى المقتدر بالله العباسي[1] ، ثم صار طبيبا خاصا للراضي بن المقتدر عندما تولى الخلافة ... وكانت له المكانة السامقة لديه .

وهكذا نجد عائلة بختيشوع تسيطر على مقاديرالامور في الدولة العباسية منذ زمن المنصور وحتى زمن الراضي بن المقتدر ، حتى ان الخليفة يدعو بالصحة وطول العمر لبختيشوع في عرفات ويكثر الدعاء له ، ويأتي خليفة آخر فلا يجد من الدنيا من يستريح اليه ويفرّج كربه غير يوحنا . فما أبأس هذه الامة التي ألقت بقيادها الى خلفائها وحكامها الذين ألقوا قيادهم الى هؤلاء الكفرة من أهل الكتاب واتخذوهم بطانة ، والله سبحانه وتعالى يقول : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ }**[آل عمران : 118-119] . وقال تعالى :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**[المائدة :57] .

وهؤلاء أظهروا المودة وأبطنوا العداوة ، وجعلوا لهم المكانة السامقة لدى الخلفاء والحكام والامراء ، فاستبدّوا بأمور المسلمين كما سنرى . وذلك من غفلة المسلمين وحكامهم .. والاسلام يدعو الى العدل والنصفة وحسن المعاملة ، ولكنه لا يدعو الى أن نجعلهم بطانة وأن يتحكموا في أمور المسلمين[2] .

وأما هم حين يحكمون المسلمين فيعاملونهم بأقسى أنواع المعاملة والبطش ، وان كانوا من نفس

---

[1] يقول ابن القيم في كتابه (أحكام أهل الذمة) :166/1 : أن أهل الذمة كانت لهم الولايات والجبايات في عهده ، فاشتكى المسلمون من ظلمهم ، فقام المقتدر عام 295هـ بعزلهم من المناصب العامة والولايات الهامة ، وأمر بقتل أبي ياسر النصراني عامل مؤنس الحاجب بسبب خيانته للدولة . وعاد اهل الذمة الى السيطرة في زمن الراضي بن المقتدر وكثرت القصائد والشكاوى ضدهم ، ولكنه عزل ابن فضلان اليهودي ، وجعل محله ابن مالك النصراني ، فقويت شوكة النصارى .

[2] يقول ابن القيم في (احكام أهل الذمة) : وكذلك في أيام الامر بأمر الله امتدت أيدي النصارى ، وبسطوا أيديهم بالجناية ، وتفنّنوا في أذى المسلمين ، وايصال المضرّة اليهم ، واستعمل منهم كاتب يعرف بالراهب ولقب بالاب القديس .. فصادر اللعين عامة من بالديار المصرية من كاتب وحاكم وجندي وعامل وتاجر ، وامتدت يده الى الناس على اختلاف طبقاتهم واعلن في مجلسه : نحن ملاك هذه الديار حربا وخراجا ملكها المسلمون منّا ، وتغلّبوا عليها وغصبوها ، واستهلكوها ، من أيدينا ، فنحن مهما فعلنا بالمسلمين فهو قبالة ما فعلوا بنا .. فجميع ما نأخذه من أموال المسلمين وأموال ملوكهم وخلفائهم حلّ لنا ، وبعض ما نستحقّه عليهم ، فإذا حملنا لهم مالا كانت المنّة لنا عليهم .... وصادر اللعين (272000) دارا وحانوتا واراضي من أموال المسلمين ، ومن الأموال ملا يحصيه الا الله . ثم انتبه الآمر من رقدته وأفاق من سكرته ، فأمر بعزله ، كما أمر ألا يولى أهل الذمة المناصب العامة . وقام أبو علي بن الافضل برد الدور والاراضي والحوانيت الى اصحابها المسلمين في مصر . وهكذا كان الواقع مخيفا ، حيث ان أهل الذمة من اليهود والنصارى يتحكمّون في شؤون المسلمين تحكما تاما مع الاستبداد والظلم والمصادرة ، وذلك في زمن خلافة المسلمين وأيام عظمتهم ودولتهم ، فكيف يكون الوضع عند ضعف المسلمين وهوانهم وذلتهم ، فإنهم لا يلاقون الا الذبح ، والقتل وسفك الدماء ، وتخريب الديار ، ومصادرة الاموال.

قوميتهم وجنسيتهم كما هو مشاهد في البوسنة والهرسك وكوسوفو وفي صربيا وجميع دول أوربا الشرقية والغربية .

ولا يسمح للمسلم بأن يصل الى منصب رفيع في الدولة . ورغم كثرة المسلمين في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وغيرها من بلاد النصارى ، فلم نسمع عن مسلم صار رئيسا للدولة أو حتى وزيرا في هذا الدولة بل من النادر جدا أن يصل الى منصب عضو في البرلمان أو الكونجرس[1].

ولم يقع قط عندهم ان يكون للمسلم شأن ذو بال في مجتمعهم ، بل ان محمد فايد ، المصري الأصل ، والذي يعيش في بريطانيا منذ عقود وله أموال كثيرة عندهم ويملك متجر (هارولدز) ، لم يرضوا حتى الان ان يعطوه الجنسية البريطانية حتى لا تكون له حقوق مع وجود ثروة كبيرة له .. ولو كان يهوديا لحصل على الجنسية البريطانية في خلال أشهر معدودة ، ولامكنه احتلال مناصب هامة في الدولة . هذا مع ان المذكور وأولاده غير ملتزمين بالتعاليم الدينية وكان ابنه عشيقا للأميرة ديانا قبل موتها.

عائلة ماسويه :

والعائلة الثانية المشهورة في مجال الطب بعد عائلة بختيشوع هي عائلة ماسويه ، وكلا العائلتين من السريان النصارى .

7 -وكان مؤسس الاسرة ماسويه الخوري أميا من خوزستان ، والتحق بمستشفى جنديسابور ، يدق العقاقير في صيدليتها تحت اشراف جبرائيل بن بختشوع ، فتعلم من هناك الطب ، واشتكى خادم الفضل بن الربيع (الوزير) من وجع في عينيه ، فلم ينفعه جبرائيل بن بختيشوع ، فذهب الى ماسويه ، فداواه ، فبرأ ، ومن ثمّ أدخله على الفضل بن الربيع فداواه بعد أن فشل جبرائيل ، فصار طبيبه ، ثم أدخله الفضل على هارون الرشيد عندما رمدت عينه فبرأ على يديه فكان له من الرشيد عشرة آلاف درهم شهريا ، ومئة ألف درهم معونة سنوية ، سوى الهبات والعطايا .

8 - ثم ظهر يوحنا بن ماسويه وتعلم الطب من أبيه ومن جبرائيل ، وكان أثيرا عند الواثق العباسي ، فشرب يوما في مجلس الواثق شرابا غير صاف ولا لذيذ (وهذا من عادة السقاة اذا قصرّ في برهم والاحسان اليهم) . فلما شرب يوحنا القدح الاول قال : " يا أمير المؤمنين ! أما المذاقات فقد عرفتها واعتدتها ، ومذاقة هذا الشراب

[1] الغريب حقا ان تتحدث أوربة والغرب عن حقوق الانسان ويمنعون الفتاة المسلمة من الذهاب الى المدرسة اذا وضعت على رأسها غطاء ، كما يطردون المرأة اذا ذهبت الى محل العمل محتشمة محتجبة(مع ظهور الوجه والكفين) .. وقد اصدررت فرنسة بذلك قانونا في28 يناير 2004 م بهذا الخصوص ، بعد أن وافق الرئيس الفرنسي شيراك والبرلمان والوزارة.

خارجة عن طبع المذاقات كلها " فغضب الواثق وقال : " يسقون أطبائي وفي مجلسي هذا مثل هذا الشراب" ، فأمر ليوحنا في الحال بمئة ألف درهم ترضيه !! وأمر الخادم بأن يحمل اليه المال في الحال . فلما كان العصر سأل الخادم : هل حملتم المال الى يوحنا ؟ فقيل : لم يحمل بعد ، فقال : احمل اليه مئتي ألف ، فلما صلوا العشاء تبين للواثق انهم لم يحملوا المال بعد ، فأمر بحمل ثلاثمئة ألف درهم الساعة . فقال الخادم لخازن بيت المال : احملو مال يوحنا الآن ، والا لم يبق في بيت المال شيئا ، فحمل اليه ثلاثمئة ألف درهم فضة ترضية لكأس من الخمر رديئة!!

واشتهر يوحنا بترجمة الكتب اليونانية الى العربية وتولى رئاسة بيت الحكمة للمأمون سنة 225هـ / 830م . وخدم يوحنا الرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .

9 -ومن هؤلاء الاطباء عيسى المعروف بأبي قريش النصراني ، وكان صيدلانيا فوجهت له الخيزران (جارية المهدي[1] ، ثم اعتقها وتزوجها وكانت لها الحظوة الكبرى لديه) ببولها ، فلما رآه قال للجارية : هذا ماء امرأة حبلى بغلام . وحملت الخيزران وولدت موسى الهادي ، فعظمت مكانته لديها ، ثم امتحنه المهدي فوجه اليه مع الجارية بول الخيزران وهي حامل ، فقال : هذا ماء ابنتي أم موسى (يقصد الخيزران) وهي حبلى بغلام آخر" .

ولا شك ان هذا الأفاق كان يستعلم من الجارية ، ويعطيها على ذلك مالا ، ويزعم انه يعرف من البول ان كانت حاملا بغلام ام جارية . ومن حظه ان تكون حاملا بغلام فيكسب من ذلك ثقة الخيزران ، وزوجها الخليفة المهدي العباسي ، ومن وراء ذلك ألف ألف درهم والضياع والهدايا!!

ومن هؤلاء الاطباء العبادون (بفتح العين وتخفيف الباء) وهم قوم من نصارى العرب بالحيرة.

10 - ظهر منهم حنين بن اسحاق العبادي احد أشهر المترجمين في العصر العباسي ، وكان حنين بن اسحاق لسِانا بارعا شاعرا ، وكان شيخه في العربية الخليل بن احمد الفراهيدي ، وتعلم الطب من يوحنا بن ماسويه، ثم جبرائيل بن بختيشوع . وكان حنين

[1] رغم أن المهدي اشتهر بمحاربة الشعوبية وأعداء الاسلام الا ان أهل الذمة قويت شوكتهم في زمنه – كما يقول ابن القيم في كتابه (احكام اهل الذمة) وولاهم الولايات والجبايات ، حتى ضجّ المسلمون من ذلك ، وقام اليه نفر من الصالحين يكلمونه في ذلك ويحذرونه غضب الله عليه ، وكثرت القصائد التي تندد بظلم أهل الذمة للمسلمين ، فأمر المهدي بعزلهم ، ولكنه أبقى على ضياعه كاتبا نصرانيا ظلم المسلمين ظلما شديدا ، فوقف القاضي سوار بن عبد الله ضده ، فاضطر المهدي الى عزله.

يجيد اليونانية والسريانية والعربية اجادة تامة .

وسافر حنين بتشجيع من المأمون الى أقصى بلاد الروم طلبا للكتب اليونانية ، وعظمت مكانته لدى المأمون الذي كان يعطي حنينا من الذهب وزن ما ينقله من الكتب الى العربية . لذا كان حنين يأمر كتبته بتوسيع ما بين السطور والكتابة بخط واسع ، واستخدام الكاغد الثخين حتى يزداد الوزن وتزداد كمية الذهب .

وكان حنين ماهرا في طب العيون ، وله كتاب (العشر مقالات في العين) وهو أشهر كتبه ، وله (المسائل في الطب) وضعه على هيئة سؤال وجواب . وكان الاطباء لا يسمح لهم بممارسة مهنة الطب قبل ان يمتحنوا في هذا الكتاب ، لانه جمع مسائل الطب على هيئة سؤال وجواب ، وبصورة فذة مختصرة . ولا يسمح لأحد بممارسة الكحالة (طب العيون) قبل ان يمتحن في طبقات العين ، وكتاب (العشر مقالات في العين) لحنين بن اسحاق.

وله مؤلفات وكتب مترجمة تربو على المئة ، منها كتاب (فن تركيب العين) ، وكتاب (الادوية المفردة) ، وكتاب (العين) غير العشر مقالات .

ب -الاطباء من الصابئة:

وهم قوم من اليهود آمنوا بيحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) يكثرون الاغتسال والتطهر ، وكلمة صابئة الآرامية تدل على التطهر والتعّمد ، ويؤمنون بتأثير الكواكب ، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم : {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** }[المائدة:69] ، ومثلها في سورة البقرة:{ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** }[البقرة : 62].

وقال اسحاق بن رهواية والسدي والضحاك وأبو حنيفة النعمان : الصابئة فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور ، ولا بأس بذبائحهم ومناكحتهم (وهو قول أبي حنيفة واسحاق بن راهويه).

وظهر من هؤلاء الصابئة عدد تولى الوزارة الكبرى في الدولة العباسية ، كما تولوا الطب وديوان الرسائل والمظالم !

فقد تولى أبو اسحاق الصابي الوزارة للطائع والمطيع العباسيين .

وتولى ابراهيم بن هلال الصابي الحرّاني الكاتب الأديب المشهور ديوان الرسائل والمظالم.

11 - ومنهم الطبيب والاديب الفلكي الرياضي ثابت بن قرّة وابنه سنان بن قرّة . وقد همّ المأمون بإبادتهم لما غضب عليهم ، ولكن شفعت لهم علومهم ، وكان المأمون شغوفا بالعلم موقّرا لأهله .

12 - أبو الحسن بن قرّة : كان صيرفيا بحرّان ، وقرأ على محمد بن موسى المهندس الفلكي الرياضي المشهور وصار من خاصة تلاميذه فوصلة بالمعتضد العباسي .. وتعلم الطب فاشتغل بالطب والتنجيم ، وكان المعتضد يحبّه ويكرمه ، وكان يجلسه بين يديه ، والوزير وغيره من رجال الدولة قياما . وله كتاب مشهور في الطب اسمه (الذخيرة في الطب).

13 - ثم ظهر أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرّة ، تعلم الطب والعلوم على ابيه ، وبرع في الطب وعلم الهيئة . وكان محظيّا عند الخلفاء ، وخاصة عند المقتدر بالله والقاهر والراضي من خلفاء بني العباس . وأسلم في آخر حياته ، وتوفي مسلما سنة 331هـ ، وكان له نشاط عظيم في فتح المشافي والاشراف عليها ، وتنظيم مهنة الطب ، وامتحان الاطباء قبل ان يسمح لهم بممارسة المهنة .

وكان يحثّ الخلفاء والامراء على بناء المشافي وجعل الاوقاف لها ، فكثرت في أيامه المشافي وكلها مجّانية تخدم الابيض والاحمر ، والمسلم والكافر ، ابتغاء وجه الله تعالى ، بل كان يوصل الخدمة الطبية الى المساجين ، ويرسل لهم بالاطباء والصيادلة والادوية ، وسائر المناطق الريفية البعيدة . وكان يشجعه على ذلك ويحثّ عليه الخلفاء والامراء والوزراء ، ومنهم : الوزير علي بن عيسى الجراح ، الذي كتب الى سنان يحثّ على تخصيص أطباء وصيادلة وأدوية للمحبوسين ، وأهل السواد (الارياف) ، حتى تصل اليهم الخدمة الطبيّة ، ولا يحرموا منها . وأمره الوزير بأن يتّجه بصورة خاصة الى المناطق الوبيّة والامراض الفاشية قبل غيرها .

14 - ثابت بن سنان بن قرّة : تولى الطب بعد ابيه ، وكان طبيبا لثلاثة من خلفاء بني العباس هم : الراضي بالله ، والمستكفي بالله، والمطيع لله ، بالاضافة الى المتّقي بن الخليفة المقتدر ، وتولى امر عدة بيمارستانات (مشافي) فاحسن ادارتها.

15 - ابراهيم بن سنان وهو أخو ثابت بن سنان ، وكان مثله طبيبا .

جـ -الاطباء من الهنادكة:

16 - ظهر (منكه) الطبيب الهندوكي الذي طلبه هارون الرشيد ليداويه من علته بعد فشل الاطباء في قصره في مداواته منها ، فداواه (منكه) ، فأجرى عليه الرشيد رزقا واسعا .

17 - ومنهم صالح بن بهلة الهندي ، الذي اسلم وكان من كبار أطباء هارون الرشيد ، وخاصة بعد ان داوى ابراهيم بن صالح العباسي ابن عم هارون الرشيد الذي أغمي عليه ، وظن الاطباء انه مات ، فجاء صالح بن بهلة وأنكر موته واستخدم أول جهاز تنفسي لانقاذه ، فأدخل الانبوب الى انفه ، واوصل الانبوب بمنفاخ ، وظل ينفخ فيه حتى أفاق المريض . وقد اسمى هذا الجهاز القندس ، وهو أول جهاز تنفسي (Respirator) في العالم . فسر منه الرشيد وأعطاه الاعطيات الكبيرة وجعله ضمن أطبائه.

من اطباء العهد العباسي

في بغداد وماحولها

ومن الاطباء المشهورين في بغداد :

1 -متىّ بن يونان (وفاته328هـ) ، وكان بارعا في المنطق أكثر من براعته في الطب.

2 -ومنهم ابراهيم القويري أبو اسحاق النصراني ، وهو من أساتذة متىّ بن يونان في الطب .

3 -ومنهم سعيد بن يعقوب الدمشقي النصراني الذي كان منقطعا للوزير علي بن عيسى الجراح ، ورئيسا للبيمارستان الذي أنشأه الوزير في بغداد سنة 302هـ .

4 -ومنهم الطبيب المشهور علي بن العباس المجوسي صاحب الكتاب الضخم والهام (الكامل في الصناعة الطبية) والذي اشتهر باسم الملكي او الملوكي ، وهو يتألف من 20 جزءا ، ومن أحسن الكتب الطبية باللغة العربية الى زمنه ، فلما ظهر القانون لابن سينا حل محله .

وقد ولد علي بن العباس في الاهواز ببلاد فارس مجوسيا ، وصار من حاشية عضد الدولة البويهي ، واسلم في زمنه وكان حيا قبل سنة 384هـ/994م.

5 -ومن هؤلاء الاطباء اسحاق بن شليطا اليهودي وكان أحد أطباء المطيع لله الخليفة العباسي .

6 -وابو النصر فنون الذي كان طبيبا للوزير وقائد القوات المسلحة بختيار .

7 -ودانيال المتطبب الذي كان طبيبا لمعز الدولة البويهي.

8 -وأبو الحسن بن كشلريا الذي عمل في خدمة سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب ، واستعمله عضد الدولة البويهي ، وجعل رئيسا للبيمارستان العضدي ببغداد وعاش ومات يهوديا.

9 -وكان أبو الفرج عبد الله بن الطيب من رؤساء النصارى في دينهم ، ويدرّس الطب في البيمارستان العضدي ، وكان معاصرا للشيخ الرئيس ابن سينا الذي أثنى على تصانيفه في الطب والمنطق والطبيعيات .

10 - ومن أطباء بغداد ابن بطلان النصراني ، واسمه أبو الحسن المختار بن عبدون بن بطلان ، وكانت بينه وبين ابن رضوان المصري المسلم ملكاتبات ومناقرات ، وكانت وفاته سنة 450هـ /1058م ، وله من الكتب : كتاب (تقويم الصحة) ، ومقالة في

(شرب الدواء المسهل) ، وكتاب (المدخل الى الطب) ، وكتاب (دعوة الأطباء).

11 -ومن أطباء بغداد قسطا بن لوقا البعلبكي الطبيب الفيلسوف المنجم ، عاش في أيام المقتدر العباسي ، ونقل كتبا كثيرة من اليونانية الى العربية .

12 - ومن أشهر أطباء العراق أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن ابراهيم بن التلميذ . كان رئيس الأطباء (ساعور) في البيمارستان العضدي . وكان أمين الدولة نصرانيا ، وتولى مناصب عدة ومنها الوزارة وكان لا يقبل عطية الا من خليفة او سلطان ، ولم يكن ينافسه في الطب الا أبو البركات اليهودي ، وكانت وفاة ابن التلميذ سنة 560هـ وله من العمر 94 سنة ، ومات نصرانيا ، وخلف أموالا وضياعا وقصورا وجواهر كثيرة ، ورثاه الشعراء ومدحوه في حياته ، ومنهم السيد النقيب الكامل نقيب الاشراف ، والشريف محمد بن الهبارية العباسي ، والشاعر أبو اسماعيل الطغرائي.

13 - ومنهم أبو البركات هبة الله علي بن ملكا اليهودي ، وكان في خدمة المستنجد بالله ثم المستضيء بالله العباسي . وسبب اسلامه انما كان لعدم قيام قاضي القضاة له ، وكان أبو البركات اذا دخل على الخليفة قام جميع من في المجلس الا الخليفة وقاضي القضاة ، فاستاء من ذلك وأعلن اسلامه ليقوم له قاضي القضاة !!.

14 - ومنهم أبو الفرج صاعد بن هبة الله النصراني صار طبيبا للخليفة الناصر العباسي ، وتولى عدة وزارات وتكبر على الجند ، وأساء معاملتهم ، وأهان كثيرا من الضباط ، فاغتالوه سنة 620هـ وكان ما تركه بعد وفاته (813.000) دينارا ذهبا ، بالاضافة الى الضياع والقصور والبساتين والجواهر!!.

15 - ومنهم أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري (154-236هـ /770-861م) ، وكان طبيبا للمعتصم العباسي ، ثم صار نديما لابن المتوكل .

ووصفه الامام محمد بن جرير الطبري بعلي بن ربن النصراني ، أما ابن أصيبعة وابن القفطي فذكرا أنه كان يهوديا . وله كتاب رائع في الطب اسمه (فردوس الحكمة) وهو في مجلد واحد ، نشره وحققه الدكتور محمد زبير الصديقي ، وطبع في برلين عام 1928م ، وعندي نسخة منه ، وقالوا : انه أسلم على يد المعتصم العباسي ، فصار من أقرب المقربين اليه .

اشهر أطباء المغرب والاندلس

واشتهر من اطباء المغرب والاندلس عدد من الاطباء اليهود والنصارى منهم :

1 - السموءل بن يحيى بن عباس المغربي ، ثم انتقل من المغرب الى ديار بكر (في تركية حاليا) ثم أذربيجان ، وخدم بيت البهلوان حكام مراغة بالطب (في أذربيجان) وارتحل الى الموصل ، وأعلن اسلامه هناك ، ورد على اليهود ، وصنف كتابا في تنفيذ أباطيلهم وتحريف التوراة سماه (بذل المجهود في إفحام اليهود)[1] ، وصنف كتاب (المفيد في الطب) للوزير مؤيد الدين الحسين بن محمد سنة 564هـ.

2 -ومنهم اسحاق بن سليمان الاسرائيلي ، يهودي ولد بمصر ، وسكن القيروان (تونس) وصار طبيبا لأول الخلفاء الفاطميين عبيد الله المهدي ، وعمر حتى بلغ مئة سنة.

3 -ومنهم حسداي بن بشروط الاسرائيلي ، ظهر في زمن الناصر الثالث الاموي بالأندلس ، واشتهر باستخراج العقاقير وله كتب في الطب .

4 -ومنهم يحيى بن اسحاق القرطبي النصراني ، صار طبيبا لعبد الرحمن الناصر الثالث الاموي ، ثم تولى الوزارة الكبرى لديه . وما اعظمها من مصيبة حيث يتولى نصراني وزارة الدولة الكبرى ، ويتصرف في الدولة ، وفي المسلمين. والدولة في الاندلس محاطة بالاعداء من النصارى .. وهذا من أسباب الوهن وضياع الاندلس على المسلمين.

5 -ومنهم نقولا الراهب ، أرسله امبراطور القسطنطينية أرامنيوس لعبد الرحمن الناصر ليترجم له كتاب ديسقوريدس في النباتات الطبية من اليونانية الى العربية ، وهو أول من عمل ترياق الفاروق.

6 -ومنهم يوسف بن أحمد بن حسداي الاسرائيلي ، سافر من الاندلس الى مصر في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وكان طبيبا للوزير محمد بن نور الدولة المعروف بالمأمون ، وله كتاب (الشرح المأموني لكتاب الايمان لأبقراط) ، وكتاب (الاجمال في المنطق) ، واشتغل بالطب والعلوم الطبية.

7 -ومنهم ابن بكلارش من كبار أطباء اليهود بالاندلس ، ونال حظوة كبيرة عند ملوك الطوائف من بني هود ، وألف كتاب (المجدولة في الادوية) لأحمد بن المؤتمن بالله بن هود الامير.

[1] وهو من منشورات دار القلم بدمشق ، بتحقيق الاستاذ عبد الوهاب طويلة(رحمه الله)

الاطباء من غير المسلمين

مصر والشام

من أطباء مصر والشام من أهل الذمة مجموعة كبيرة نذكر منهم :

1 -بليطيان الاسكندراني النصراني : كان من رجال الكنيسة المعدودين ، وولاّه المنصور العباسي بطريركية الاسكندرية ، وهي أهم منصب نصراني ديني في مصر وعمل بالطب أيضا ، فلما اعتلت جارية الرشيد المصرية قدم عليه بليطيان ، وداواها بالسمك المملح المعروف آنذاك بالصير (ويعرف اليوم بالفسيخ) ، فلما أطعمها منه استردت صحتها ، فسر الرشيد ، ووهب له مالا كثيرا ، وجعل الكنائس اليعقوبية في مصر وهي في الاصل معادية لبليطيان الملكاني تحت قيادة بليطيان، وكانت وفاته سنة 186هـ.

2 -ومنهم ابراهيم بن عيسى النصراني ، صار طبيبا لأحمد بن طولون ، وكانت وفاته بالفسطاط سنة 260هـ.

3 -ومنهم سعيد بن توفيل النصراني ، وكان من جملة أطباء أحمد بن طولون .

4 -وظهر نسطاس بن جريج النصراني في دولة الأخشيد بن طغج ، وكان من جملة أطبائه.

5 -وكان موسى بن ألعازار الاسرائيلي وأبناءه اسحاق واسماعيل متقدمين في الطب ، وعملوا لدى المعز لدين الله الفاطمي.

6 -وأما يوسف البطريق النصراني فكان طبيبا للخليفة العزيز الفاطمي ، وكان من رجال الكنيسة المعدودين فجعله العزيز بطريركا على بيت المقدس .

7 -وقبله كان سعيد بن البطريق طبيبا ماهرا في عهد الخليفة العباسي القاهر بالله ، وجعله بطريقا (بطريركا) على الاسكندرية سنة 321هـ.

8 -ومن هؤلاء الاطباء ابو كثير أفرائيم بن الزفان الاسرائيلي ، قرأ الطب على علي بن رضوان المشهور في مصر ، وكان محبا للكتب ، ولما مات ترك (20.000) مجلدا في مكتبته ، وأموالا وفيرة ، وضياعا ، وعقارا ، ومجوهرات كثيرة.

9 -ومنهم سلامة بن رحمون الاسرائيلي تلميذ افرائيم المتقدم ذكره ، درس المنطق على يد الامير أبي الوفاء المبشر بن فاتك . وله عدة مؤلفات في الطب والعلوم منها كتاب (نظام الموجودات) ، ومقالة في (خصب أبدان النساء في مصر عند تناهز الشباب).

10 - ومنهم أبو العشائر هبة الله بن زين بن جميع الاسرائيلي ، قرأ الطب على الشيخ عدنان بن العين زرمي. وكان أبو العشائر من جملة أطباء صلاح الدين الايوبي ، وحظي لديه ، وكان رفيع المنزلة عنده ، عالي القدر ، نافذ الامر... وكان لدى صلاح

الدين الايوبي مجموعة من الاطباء يخدمونه وأهله وأمراءه والقادة من جنده ، ومنهم المسلم واليهودي والنصراني .. ومن أطباء صلاح الدين من اليهود : أبو العشائر هبة الله الاسرائيلي المتقدم ذكره.

11 -والموفق بن شوعة اليهودي ، اشتهر بالكحل (طب العيون).

12 - وأبو المعالي ابن تمام بن هبة الله اليهودي ، وكان ممن وجدوا الحظوة لدى صلاح الدين ، ثم لدى أخيه الملك العادل.

13 - ومنهم الحكيم ابراهيم السامري[1] . اشتهر في دمشق ، ثم التحق بخدمة صلاح الدين الايوبي ، وكان من المقربين لديه.

14 - ومنهم سكرةالحلبي اليهودي ، عالج جارية للملك العدل نور الدين زنكي ، فحظى اديه ، وجمع ثروة طائلة . ثم خدم صلاح الدين.

15 - وصار ابنه عفيف بن سكرة من جملة أطباء صلاح الدين ، وألف له رسالة في (القولنج) سنة 584هـ.

16 - ومنهم سديد الدين أبو الفضل داود بن أبي البيان الاسرائيلي ، حظي لدى الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

17 - ومنهم أبو الحجاج يوسف الاسرائيلي ، يهودي مغربي من فاس ، سافر الى الديار المصرية ، وتتلمذ على يد موسى بن ميمون ، ثم صار طبيبا خاصا للملك غازي بن الناصر صلاح الدين الأيوبي في حلب . كما كان طبيبا للأمير فارس الدين القصري ، وجمع ثروة طائلة.

18 - ومنهم أبو البيان بن المدور الملقب بالسديد وكان صلاح الدين يبالغ في اكرامه.

19 - وأهم هؤلاء جميعا الرئيس موسى بن ميمون (أبو عمران) المعروف لدى الغرب باسم ميمونيدس . وموسى بن ميمون أحد أهم شراح التوراة والتلمود على مدى العصور ويقول عنه اليهود : " ما بين موسى (أي ابن عمران عليه السلام) وموسى (أي ابن ميمون) ، لم يوجد أعظم من موسى" . وهو رئيس اطباء اليهود في مصر ، ويتبعه كل اليهود الأرثوذكس في العالم الى اليوم.

وقد ولد في قرطبة ثم نزح مع والده وأسرتهالى المغرب ، وهناك أعلن اسلامه ، ودرس الفقه المالكي وعلوم الاسلام ، كما تعلم الطب بعد أن برع في دراسة التوراة والتلمود على يد والده وعلماء اليهود.

[1] نسبة الى السامرة ، وهم فرقة من فرق اليهود ، يؤمنون بالاسفار الخمسة فقط ، ومعبدهم في جبل جرزيم في نابلس ، وهم يسكنون حول معبدهم.

ولما دخل موسى بن ميمون الى مصر داوى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ، الذي كان رئيس ديوان الانشاء في الدولة الفاطمية ، ثم كان (أي القاضي الفاضل) من أقرب الناس الى صلاح الدين ، واعتبر أحد أهم وزرائه ومستشاريه.

وقام القاضي الفاضل بتقديم موسى بن ميمون الى صلاح الدين ، فوجد لديه الحظوة الكاملة والمقام الرفيع .

وتولى رياسة اليهود في مصر ، ولما جاء رجل من المغرب شهد عليه بأنه قد أسلم هناك ، فذهبوا به الى القاضي الفاضل ، فأعلن أنه أسلم مكرها ، فقال القاضي : "لا إكراه في الدين" . ولم يعتبر اسلامه صحيحا ، لذا لا تنطبق عليه أحكام الردة.

وارتفعت مكانة موسى بن ميمون في مصر ، وصار رئيسا للطائفة اليهودية من سنة 567هـ/ 1171م الى سنة وفاته 601هـ /1204م ، ومع ذلك فقد صار رئيسا للأطباء في بلاط صلاح الدين الايوبي ، ثم في بلاط ابنه الملك الافضل علي بن يوسف ملك دمشق . وجمع الأموال والضياع ، واشتهر بالطب ، ولم يكن يداوي أحدا من المسلمين أو النصارى الا بمقابل كبير ، ولم يكتف كما يفعل بعض كبار الاطباء بالاعطيات الضخمة من السلطان والامراء والاغنياء ، فقد كان – كما يقول اسرائيل شاحاك ، وأحد أهم الكتاب في اسرائيل اليوم ، وأحد علماء الكيمياء ، وهو معارض لسياسة اسرائيل التوسعية التلمودية التوراتية بقوة ، في كتابه (الديانة اليهودية وتاريخ اسرائيل)- يرى حسب تعاليم الهالاكاه (التلمودية) أن على اليهودي ان لا ينقذ حياة الاغيار (أي غير اليهود) بل يجب عليه اذا وقع غير اليهودي في بئر ألا ينقذه.

ويورد نص ما قال موسى بن ميمون : "أما بالنسبة للأغيار الذين لسنا في حالة حرب معهم ، فينبغي ألا نتسبب في موتهم ، ولكن انقاذهم ممنوع. فإذا شوهد أحدهم على سبيل المثال يسقط في البحر ، فينبغي الامتناع عن انقاذه ، لانه مكتوب: (انت لن تقف ضد دماء قرينك ، والاغيار ليسوا أقرانك) ، وينبغي على الطبيب اليهودي خصوصا ألا يعالج الاغيار".

وبما أن ابن ميمون نفسه طبيب مشهور في بلاط صلاح الدين ، ويداوي الاغيار ، فيبرر ذلك بقوله : "إلا ان كان رفض اليهودي ، وخاصة الطبيب اليهودي ، انقاذ حياة الاغيار قد يثير – اذا شاع الرفض- عداء الاغيار من ذوي النفوذ ، مما قد يعرض اليهودي ، بل كل اليهود للخطر.. ولكنك اذا كنت تخشاه أو تخشى عداوته فاعمل على شفائه لقاء اجر ، وممنوع عليك مداواته بدون أجر " . وبالتالي لا بد من ان تأخذ أكبر أجر ممكن.

ويقول اسرائيل شاحاك عن موسى بن ميمون : " فإن اصراره على اخذ الاجر كان من أجل تأكيد ان عمله الطبي ليس من أعمال الخير والبر والاحسان ، بل واجب لا يمكن تفاديه" .

وقد اشتهر عن اطباء أهل الذمة ، وخاصة في الاندلس من اليهود والنصارى انهم

كانوا يسقون مرضاهم من المسلمين مواد سامة تؤدي الى وفاتهم ، وخاصة اذا كان المريض من العامة ولا نفوذ له .

ولهذا نرى عبد الملك بن حبيب الالبيري الاندلسي فقيه الاندلس المتوفى سنة 238هـ يقول في رسالته الموجزة (الطب النبوي) : "وان كان الطبيب من اهل الذمة فسقى المريض دواء فمات ، فعلى السلطان ان يكشف عما سقاه ، وان كان طبيبا معروفا بالطب والبصر به للمظنة التي تواقعه لعداوة اليهود والنصارى للمسلمين " .

وقد تكرر مثل هذا الكلام لدى الفقهاء ، وخاصة في كتب الحسبة نتيجة كثرة الحوادث من هذا القبيل في أماكن مختلفة من الاراضي الاسلامية .

ويذكر اسرائيل شاحاك في كتابه (الديانة اليهودية وتاريخ اسرائيل) أن موسى بن ميمون قال : "ومن المسموح تجربة عقار من العقاقير على كافر ان كان ذلك يفي بغرض ما ، ولو أدى ذلك الى الاضرار به أو حتى قتله . ولكن أهم شرط في ذلك الا يكشف الامر ، ولا يصاب اليهودي ، او عامة اليهود في تلك المنطقة بالضرر والاذى نتيجة هذه الاعمال . فقد قال التلمود : إن حياة غير اليهودي لا تساوي حياة الكلب او الخنزير ، وقال التلمود : "اقتل الصالح من غير اليهود ، والكفرة الاغيار كلهم انجاس" .

وفي التلمود: " تتميز أرواح اليهود عن باقي الارواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه" . والاسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة . واذا ضرب أمي (غير يهودي) اسرائيليا فكأنما ضرب العزة الالهية ويستحق الموت . ولو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة في الارض والفرق بين اليهود وباقي الشعوب كالفرق بين الانسان والحيوان . والخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة ، وقد خلق الله الانسان ليكون لائقا بخدمة اليهود الذين ما خلقت الدنيا الا من أجلهم ، ويجب على اليهود ان يبذل جهده لمنع استملاك غير اليهود ، وسرقة غير اليهود ليست سرقة ، بل هي استرداد لمال اليهودي . وحياة غير اليهودي ملك لليهودي فكيف بماله ، ويجوز لليهودي ان يحلف مئة يمين كاذبة في معاملته لغير اليهود ، إذ اليمين جعلت لحسم النزاع بين الناس ، وغير اليهود ليسوا اكثر من حيوانات . ويجوز لليهودي أن يشهد زورا ويقسم على ذلك حسب ما تقتضيه المصلحة مع الغير يهودي . ولليهودي لا تقرض بربا ، ولغير اليهود لا تقرض الا بربا .. الخ "

ويقرر موسى بن ميمون – كما يقول اسرائيل شاحاك – ان على الطبيب اليهودي والقابلة اليهودية الا تعمل يوم السبت الا اذا كان المريض اميرا او سلطانا أو ذا نفوذ ، فلا بد من مداواته وتوليد نسائه لان عدم ذلك سيضر باليهود ، أما غيره من العامة فلا يجوز مداواتهم وخاصة يوم السبت .

ويقرر الحاخام حاتام سوفير المتوفى سنة 1832م في بحثه (Responsa) – كما ينقله عنه اسرائيل شاحاك – ان المسلمين والنصارى ليسوا فقط عباد اوثان ، وانما ينبغي الامتناع البتة عن انقاذ اي واحد منهم . ويشبههم بالعماليق الذين كانوا في فلسطين

.. والتلمود واضح في قوله : " من المحظور اكثار بذرة العماليق" وعليه فإنه محرم على اليهودي مساعدة هؤلاء الاغيار طوال الاسبوع . وبما ان الفلسطينيين هم من نسل العماليق والكنعانيين الذين أمرت التوراة والتلمود بإبادتهم فإنه ينبغي العمل بكل وسيلة على انقاص نسلهم ، وعدم انقاذ اي واحد منهم في خطر . ويستمر ذلك في حاخامات اسرائيل الذين يتنادون بطرد الفلسطينيين من ارض اسرائيل التي وهبها لهم الرب بموجب مواثيق مؤكدة بدم العزلة مع ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى ويوشع بن نون.. الخ .فإن أبوا أن يخرجوا من اسرائيل فيجب إبادتهم.

ويقول اسرائيل شاحاك : " إن خداع الاغيار عوضا عن مساعدتهم أمر لا بأس به " . وتقرر التوراة عدم عقد سلام مع الفلسطينيين ، بل يجب ابادتهم أو طردهم من الارض التي وهبهم الله اياها .. أرض اسرائيل !!

جاء في سفر التكوين (12،11/34) :" احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الارض التي أنت آت اليها ، لئلا يصيروا فخا في وسطك ومناخس في جنبك وقذى في عينك . احترز من ان تقطع عهدا مع سكان الارض".

وفي سفر العدد (الاصحاح 33) قال لهم الرب : "انكم عابرون الاردن الى أرض كنعان(فلسطين) ، فتطردون كل سكان الارض من أمامكم ، تملكوها ، وتقسمون الارض بالقرعة حسب شعائركم . وان لم تطردوا سكان الارض من أمامكم يكون الذي تستبقون منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جنوبكم ، ويضايقونكم على الارض التي أنتم ساكنون فيها ".

لهذا قال الرب : "هذه هي الفرائض والاحكام التي تحفظونها لتعملوها : الارض التي أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها كل الايام التي تحيون على الارض ، وتخربون جميع الاماكن " (سفر التثنية ، الاصحاح 12/1-2) ، وهذا يفسر عمليات هدم المنازل وتجريف الاراضي الزراعية وتخريب ممتلكات الفلسطينيين اليوم ، فهم ينفذون أوامر الرب حرفيا ، حسب زعمهم.

وفي سفر التثنية (الاصحاح 20/16-18) : " وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلاهك نصيبا ، فلا تستبق فيها نسمة ، بل تحرّمها تحريما" أي تبيدها إبادة تامة.

وفي سفر التثنية (الاصحاح 11) جاء ما يلي : " ويطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب ، فترثون شعوبا أكبر منكم وأعظم منكم ، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم لكم ، من البرية ولبنان من النهر ، نهر الفرات الى البحر الغربي (أي البحر الابيض المتوسط أو نهر النيل) يكون تخومكم . لا يقف إنسان في وجهكم . الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الارض التي تدوسونها بأقدامكم كما كلمكم الرب".

وتقول التوراة حسب زعمهم : " متى اتى الرب إلاهك الى الارض التي انت داخل اليها لتمتلكها وتطرد شعوبا كثيرة أمامك ، ودفعهم الرب فانك تحرّمهم . لا تقطع معهم

عهدا ، ولا تشفق عليهم ، لانك شعب مقدّس للرّب إلاهك . إيّاك قد اختار الرّب لتكون له شعبا . أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الارض ، مباركا تكون فوق جميع الشعوب ، وتأكل كل الشعوب ، لا تشفق عيناك عليهم".

ولهذا صرّحت (جولدا مائير)في 15 أكتوبر 1971م لصحيفة (لومند) الفرنسية بما يلي : " وجد هذا البلد (اسرائيل) تنفيذا لوعد الرّب ذاته ، ولهذا لا يصح أن نسأله ايضاحا عن شرعية هذا الوجود" .

ويقول (موشي ديان) في (الجورسالم بوست) في 10 آب – أغسطس 1967 م: "اذا كنا نملك الكتاب المقدس، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فينبغي ان نمتلك بلاد التوراة وبلاد القضاة ، أرض أورشليم(القدس) ، وحبرون (الخليل) ، وأريحا ، وأماكن أخرى كثيرة" .

وكتب (بيرسون دينور) أول وزير للتعليم في اسرائيل : " ليس في بلادنا مكان الا لليهود ، وسنقول للعرب : ارحلوا ، فإن لم يرضوا بذلك ، وعمدوا الى المقاومة فسنرحلهم بالقوة" .

واكد هذا المعنى (جوزيف فايتز) مدير الاستيطان عام 1967:"من الواضح انه لا مكان في هذه البلاد لشعبيين .. والحل الوحيد هو اسرائيل اليهودية التي تضم على الاقل اسرائيل الغربية (أي كل الضفة الغربية) بلا عرب ، ولا مخرج الا بنقل العرب الى مكان آخر" . وإلا وجب إبادة الكل كما أمرت التوراة ، فقد جاء في سفر صموئيل الاصحاح الاول: " اقتل أبيمالك (ملك الفلسطينيين) ، اقتل الكل ، الرجال والنساء والاطفال والرضع والابقار، قال الرب : فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّم كل مالهم ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلا وامرأة وطفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، حملا وحمارا" .

وفي سفر صموئيل الثاني (الاصحاح 12/26-30) : " فذهب داود الى ربّة عمّون (عمان) واخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا ، وأخرج الشعب الذي فيها ، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد ، وأمرهم في أتون الاجر ، واشعل فيهم النار . وهكذا فعل بجميع مدن بني عمون" .

وفي سفر يشوع العديد من المجازر ، حتى ان المؤرخين يسمونه سفر المجازر ، ويقول الرب حسب زعمهم : "فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها ، لم يبق شاردا وحرمهم مع مدنهم ، ولم يستبق رجلا ولا امرأة ولا طفلا ولا رضيعا ولا غنما ولا حملا ولا بقرا ، قتل الجميع بأمر الرّب" .

وهذا هو موسى بن ميمون شارح التوراة والتلمود وأهم أحبار يهود على مدى التاريخ ، وطبيب صلاح الدين بحيث كانت تضرب الطبول عندما يدخل قلعة صلاح الدين ، ويقوم لدخوله العلماء والادباء وكل من في المجلس الا السلطان صلاح الدين وقاضي القضاة . واستطاع هذا الحبر الاسرائيلي الحاقد المخادع ان يخدع سلطان

المسلمين وقاضي قضاته الفاضل وجمهرة علماء المسلمين وعلية القوم مع انه هو صاحب كتاب (السراج) وهو شروح وتعليقات على المشنا، وهو متن التلمود ، وهو صاحب الكتاب الموسوعي (مشنا توراة) أي مراجعة التوراة ، وكتاب (دلالة الحائرين) وهو أهم كتبه الدينية والفلسفية ، و(رسالة اليمن) كتبها ليهود اليمن وأمرهم فيه بالتحايل وخداع المسلمين ، وغيرها كثير . وكلها كتبها باللغة العبرية.

ويقول (اسرائيل شاحاك)في كتابه الفذ(الديانة اليهودية وتاريخ اليهود) ص145: "نشر في أورشليم عام 1962م كتاب الشرائع لموسى بن ميمون المسمى (المعرفة) باللغة العبرية ، ويظهر في النص العبري الوصية الكاملة القاضية بإبادة جميع الكفار وهم جميع الأغيار ، والقائلة :"ان واجب المرء ان يبيدهم بيديه" ، اما الترجمة الانكليزية فتقول :"من واجب المرء ان يأخذ اجراءات فعلية لتدميرهم " وفي النصّ العبري أمثلة للشخصيات الهامة من الاغيار الذين يجب ابادتهم مثل يسوع الناصري وتلاميذه ولا تظهر هذه الفقرة مطلقا في النصّ الانكليزي".

ويستشهد كبير أحبار منظمة جوش ايمونيم الحالية في اسرائيل بكلام موسى بن ميمون بوجوب قتل او طرد اي فلسطيني يرمي الحجارة على اليهود . فقد قال موسى بن ميمون:"ان الكنعانيين خيرّروا بين الفرار او الخضوع لليهود تحت حكمهم يتصرفون فيهم كما يشاؤون او القتل . وهذا بالضبط ما ينبغي على اسرائيل ان تفعله بالفلسطينيين"[1].

هذا هو موسى بن ميمون الذي سماه الغربيون ميمونيدس ، الذي يمجدونه ، والذي انتحل له أديب وطبيب يهودي ألماني دعاء وقسما مزعوما ، ثم ترجم الى اللغة الانكليزية ومنها الى كافة اللغات . وفي هذا الدعاء يقولون على لسان موسى بن ميمون:"يا الهي القادر على كل شيء ، خلقت جسد الانسان بحكمة متناهية، وباركت ارضك وأنهارك وجبالك ، فمنحتها مواد شافية ، وهي تعين مخلوقاتك على تخفيف معاناتهم ، وتشفي أمراضهم ،ومنحت الحكمة للانسان ، ليخففّ معاناة أخيه الانسان ، واستخلاص المواد الشافية ولاكتشاف قدراتها .. واستخدامها لتناسب كل داء . واخترتني بحكمتك الالهية للعناية بحياة وصحة مخلوقاتك . وأنا الآن على وشك ان أكرّس نفسي لواجبات مهنتي ، فهبني يا إلهي القدير العون في هذه الاعمال الجليلة لتفيد الجنس البشري ، لانه بدون مساعدتك فلن يكلل بالنجاح أبسط الاشياء . رّب ألهمني لمهنتي ولخدمة مخلوقاتك ، ولا تدع التعطش للربح والطموح للشهرة والاعجاب أن تتدخل في مهنتي ، ويمكنها ان تقصيني عن المهنة الكبرى المتمثلة في صنع الخير لمخلوقاتك" .

ويستمر الدعاء الجميل الرائع على هذا المنوال ، وقد عرف في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي باسم قسم موسى بن ميمون (ميمونيدس).. وما أبدعه وأجمله من قسم : ولكنه منسوب كذبا وبهتانا الى موسى بن ميمون الذي تقول كتبه الموثقة بالعبرية

[1] إيان لوستيك: اليهودية الاصولية . ترجمة ونشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ،1991م ، ص91 .

بإبادة الاغيار ، واجراء التجارب عليهم ، وعدم مداواتهم إذا أمكن ، وغشهم وخداعهم في جميع الاحوال .

وقد انخدعت نقابة الاطباء بالقاهرة بهذا القسم الجميل الرائع ، وأوردته في " نظام وواجبات الطبيب وآداب المهنة" ونسبته كما فعلت المصادر الغربية الى ميمونيدس ، وقد ترجمته عن اللغة الانكليزية التي وضعها بأسلوبه الرائع الاديب (ألفريد نوالد) عن الاصل الألماني الذي وضعه طبيب يهودي مجهول ، ونسبه الى موسى بن ميمون (ميمونيدس).

ان الخداع والكذب هو مفتاح شخصية اليهودي وبالذات أكابرهم مثل موسى بن ميمون ، الذي له شارع باسمه في قرطبة حيث ولد ، وفي فاس حيث عاش فترة ، وفي القاهرة حيث ظهر نجمه وبزغ ، وفي القدس (أورشليم) بعد أن احتلتها اسرائيل ، وفي جدة ، وله في مدن كثيرة في العالم شوارع باسمه بما فيها كثير من المدن العربية والاسلامية!!.

ولقد مدح الشعراء والكبراء في دولة صلاح الدين موسى بن ميمون أبو عمران ، ومنهم : القاضي السعيد بن سناء الملك الذي قال فيه :

أَرى طِبَّ جالينوسَ للجسمِ وحده

وطبُّ أَبي عمرانَ للعقل والجِسْمِ

فلو أَنَّه طَبَّ الزمانَ بعلْمِه

لأَبْرأَه من داءِ الجهالَةِ بالْعِلْمِ

ولو كان بدرُ التِّم مَنْ يستطبه

لتَّم له ما يدَّعيه من التِّم

وداوَاه يوم التِّم من كَلَفٍ به

وأَبرأَه يومَ السِّرارِ من السُّقْم

هذا مع ان مؤلفات موسى بن ميمون الطبية سقيمة وهي مجرد تجميع من كتب من سبقه ، وليس فيها أي ابداع ، ولكن المخادعة والقدرة على التضليل لا تبارى عند موسى بن ميمون ، وقد قال عنه ابن القفطي في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) : " بأنه كان يشارك الاطباء ولا ينفرد برأيه لقلة مشاركته ، ولم يكن رفيقا في المعالجة والتدبير " . وقال : " إنه صنّف مختصرا لواحد وعشرين كتابا من كتب جالينوس ، فجاء في غاية الاختصار وعدم الفائدة ، لم يفعل فيه شيئا".

وهكذا استطاع هذا الأفاك الأكبر ان يدجل على سلطان المسلمين صلاح الدين الأيوبي ورجال دولته واخصهم القاضي الفاضل ، الذي كان شديد المحبةّلهذا اليهودي الأفاك

الدجال ، ولابنه ابراهيم بن موسى بن ميمون الذي صار طبيبا للملك الكامل محمد بن أبي بكر الأيوبي .

أشهر أطباء صلاح الدين الأيوبي من النصارى :

20 - أبو سليمان داود بن أبي المنى النصراني وأولاده . كان طبيبا في أواخر الدولة الفاطمية ، وحظي لديهم ، ثم لما انتقلت الامور الى صلاح الدين جعله من أطبائه ، وكان قد بشّر صلاح الدين بفتح القدس ، وطلب من صلاح الدين ان يعتني بأولاده ، فاعتنى بهم ، وجعلهم في رعاية أخيه الملك العادل.

21 - وقد خدم ابنه ابو سعيد بن ابي سليمان الملك الناصر صلاح الدين بالطب ، ثم خدم الملك العادل وكذلك فعل اخوته

22 - أبو شاكر

23 - وأبو النصر

24 - وأبو الفضل....

وكلهم أبناء سليمان أبي المنى .

25- ومنهم موفق الدين أبو النصر أسعد بن إلياس بن جرجس المطران ، كان من أطباء صلاح الدين .

26- ومنهم أبو الفرج النصراني كان من جملة أطباء صلاح الدين ، ثم اختص بخدمة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين ، واشتغل أولاده بالطب في خدمة الدولة الايوبية.

27- ومنهم أبو منصور النصراني ، التحق بخدمة صلاح الدين في دمشق وصار من جملة اطبائه .

28- ومنهم أبو النجم بن أبي غالب النصراني ، برع في الطب في دمشق ، والتحق بخدمة صلاح الدين .

29- أمين الدولة أبو الفتح بن أبي النجم اشتهر بالطب وتولى المناصب الباذخة في الدولة الأيوبية ، وتولى الوزارات.

30- ومنهم رشيد الدين بن أبي حليقة بن أبي الخير النصراني ، وكان طبيبا لملوك بني أيوب وحظي لديهم .

وعندما مرض (ريشارد قلب الاسد) ملك انكلترة وأحد أهم ملوك الحملة الصليبية ، ولم يفلح أطباؤه في مداواته ، أرسل اليه صلاح الدين جملة من اطبائه النصارى لمداواته ، فنجحوا في ذلك .. وكان ذلك من اسباب العلاقة الحسنة رغم الحروب بين صلاح الدين ، وريتشارد قلب الاسد . وتعّمد صلاح الدين ارسال اطبائه من النصارى لكي يطمئن الملك ريتشارد ، ولكي يعرف مقدار تسامح المسلمين ، حتى ان عددا من أطباء صلاح الدين كانوا من النصارى ، فوقع ذلك في قلب ريتشارد الاسد ، وخفّف قليلا من غلوائهم وحقدهم على المسلمين وعلى صلاح الدين .

وظهر في الدولة الايوبية ثم في الدولة المملوكية عدد من الاطباء اليهود والنصارى وتولوا المناصب الباذخة ، وكانوا أطباء الدولة ، منهم رشيد الدين بن أبي حليقة بن أبي الخير النصراني .. صار طبيبا للملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

ثم خدم ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخدم بعده طوران شاه بن الملك الصالح . ولما قتل طوران شاه سنة 648هـ تحول الى خدمة المماليك ، وصار طبيبا خاصا للسلطان الظاهر بيبرس البندقداري.

31- ومنهم مهذب الدين أبو سعيد محمد بن أبي حليقة النصراني . وهو ابن أبي حليقة المتقدم ذكره .

وكان اليهود والنصارى والصابئة يتسمون بأسماءالمسلمين ويتكنون بكناهم حتى يندمجوا في المجتمع المسلم ، وكان بعضهم يحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا ويستشهد به . وثقافة أكثرهم ثقافة أدبية عربية واسعة . وكان مهذب الدين محمد بن أبي حليقة نصرانيا رغم اسمه الموهم بأنه مسلم ، واشتغل بالطب لدى السلطان الظاهر بيبرس الذي كان يكرمه ، وكانت له المكانة العالية .

32- ومنهم رشيد الدين أبو سعيد بن موفق الدين يعقوب من نصارى القدس ، وتميّز بالطب واللغة العربية ، والتحق بخدمة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر أيوب سنة 631هـ بالقاهرة ، وله كتاب في طب العيون، وتعاليق على كتاب (الحاوي) للرازي.

33- ومن السابقين عيسى الرقي كان طبيبا لسيف الدولة الحمداني ، وكان ينقل من السريانية الى العربية كتبا كثيرة .

34- ومنهم أبو الفرج جورجس بن يوحنا البيرودي النصراني اليعقوبي من النصارى اليعاقبة ، وكان عالما بصناعة الطب عاملا بها ، وله مراسلات مع ابن رضوان المصري .

35- ومن اليهود أوحد الدين عمران بن صدقة الاسرائيلي الدمشقي ، تعلّم الطب على يد والده ، وعلى يد الشيخ رضي الدين الرحبي ، وصار طبيبا للملوك من بني أيوب . وداوى الملك العادل أبو بكر بن أيوب والملك الناصر داود بن الملك المعظم في دمشق ، وكانت وفاته بحمص سنة 637هـ .

36- وظهر بعده ابنه سديد الدين أبو منصور بن يعقوب سقلاب النصراني وصار طبيبا للملك الناصر داود بن عيسى .

37- ومن اليهود صدقة بن منجا الاسرائيلي ، خدم بالطب الملك الاشرف بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وله كتاب في شرح التوراة وكتب في الطب .

38- ومنهم أمين الدولة الصاحب أبو الحسن بن غزال بن سعيد ، كان سامريا (من فرق اليهود) ، ثم أسلم واشتهر بالطب ، وكان طبيبا للملك الأمجد بهرام شاه الايوبي ، وتولى له الوزارة ، ولما توفي الملك الأمجد سنة 628هـ وتولى الملك الصالح عماد الدين

اسماعيل تسنم الوزارة مرة أخرى . وكان أمين الدولة يستولي على أملاك دمشق ويرتشي حتى ضج منه الخاصة والعامة ، فقبض عليه الملك الصالح ، وصادر أملاكه وأودعه السجن .

39- ومن اطباء النصارى أبو الفرج بن القف أمين الدولة ، اشتهر بالطب والجراحة . وخدم أمير عجلون بالطب ، وكانت وفاته سنة 685هـ .

ويذكر الدكتور القس (اكرام لمعي) في بحثه : امريكا و (11) سبتمبر ، في كتاب الامبراطورية الامريكية ج227/3 دلالة على تسامح المسلمين أن يهود العراق كانوا في منتهى الثراء ، وفي عام 170 ميلادية كان في بغداد وحدها أربعين ألف يهودي ، ولهم (28) مجمعا للعبادة و(10) أماكن للتعليم والدراسات الدينية . وكان أحد أطباء عبد الرحمن الثالث الاموي بالاندلس يهوديا . وتولوا المناصب الهامة بالدولة ، بما فيها الوزارة .

الوزراء من اليهود والنصارى

وكانت الوزارة المالية حكرا على النصارى في الدولة الاموية ، ثم شاركهم فيها اليهود والصابئة في الدولة العباسية ، ودولها الكثيرة ، مثل الطولونية والاخشيدية.

وفي الدولة الفاطمية كانت الوزارات الهامة في معظم الاحيان حكرا على اليهود والنصارى ، حتى قال الشاعر الحسن بن خاقان – كما ينقله عنه المقريزي في (اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء)ص297، وفي خطط المقريزي أيضا ج123/2[1] :

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم ... ومنهم المستشار والملكُ
ولست ممن فيهم يغرّكمُ ... تهودوا قد تهود الفلكُ.

ابن النغريلة في الاندلس اسماعيل وابنه يوسف :

ومن هؤلاء الوزراء ابن النغريلة الذي تولى الوزارة في الأندلس . ولفظ النغريلة تحريف لكلمة (ناغيد) العبرية التي وردت في أسفار العهد القديم بمعنى القيّم على المعبد أو المدير أو رئيس القصر أو قائد فصيل من الجيش كما يقول ابن البسام.

وقد أطلق هذا اللقب على شمويل (أي اسماعيل أو سمع الله لي) بن يوسف المكنّى بأبي ابراهيم . وقد نشأ اسماعيل هذا بقرطبة ، واضطرته فتنة البربر ان يغادرها عام 399هـ الى مالقة ، واستطاع بذكائه وقدرته على صناعة الكتابة ان يصبح كاتب الدولة ، ووثق فيه باديس بن حبوس ولي العهد ، وخاصة بعد ان كشف مؤامرة تدبر ضده . وكان

[1] جاء في كتاب (الفاطميون في مصر) للدكتور حسن ابراهيم حسن ان هذه الابيات للشاعر الرضي بن البواب

ابن النغريلة من المتآمرين ، ولكنه ضحّى بهم ، وفضح مؤامرتهم عند باديس لينال لديه الحظوة ، فزادت مكانته ، ووصل الى منصب الوزارة بعد أن تولى الحكم بعد أبيه.

وكان من اسباب اطمئنان باديس ان ابن النغريلة ذمي لا تشرهُ نفسه للحكم على عكس الآخرين في امارات الطوائف ، فكلما قوي وزير دبّ مؤامرة ليستولي هو على الملك بدلا من الامير .

وكانت لاسماعيل هذا قدرة وبراعة في تنظيم الامارة وجباية الأموال حتى قال فيه ابن حيان في كتابه (الاحاطة): " وكان هذا اللعين في ذاته ، على ما زوى الله عنه من هدايته من أكمل الرجال علما وحلما وفهما وذكاء ودماثة ، وركانة ودهاء ومكرا ، وملكا لنفسه ، وبسطا من خلقه ، ومعرفة بزمانه ومداراة لعدوه".

وقد تمكن اسماعيل بهذا المكر والدهاء ان يسيطر على الدولة ، وان يجعل المناصب الهامة فيها حكرا على اليهود ، حتى اكتسبوا واستطالوا على المسلمين كما يقول ابن حيان في (الاحاطة)

ثم تولى بعده الوزارة ابنه يوسف ، الذي تثقّف ثقافة واسعة وألحقه بخدمة بلكين بن باديس الذي تولى بعد ابيه . وكان بلكين محبّا للشراب مسرّفا . واستطاع يوسف بن اسماعيل ان يتقرب الى الامير باديس نفسه ، وذلك بعد رشوة الوزيرين علي وعبد الله ابني القروي ، ثم دبر لهما المكايد ، ونزع مالهما من مال ، وسلمه للأمير باديس ، ثم تمكن بعد ذلك من السيطرة على بلكين ، فصارت الدولة كلها في يده .

ولم يكن يوسف حصيفا مثل والده ، فأظهر استطالته على المسلمين الذين أحسنوا اليه ، واستطاع ان يبعد رجال قبيلة صنهاجة التي يعتمد عليها الامير باديس وابنه . ثم لم يكتف بذلك كله بل بلغت به الوقاحة ان يسب النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب وضعه ، ثم وضع كتابا يدّعي فيه هذا الوقح معارضة القرآن الكريم . وذلك في الفترة ما بين سنة 456- 459 هـ ، وأدى ذلك الى نقمة العلماء والأمة على هؤلاء اليهود المجرمين المتطاولين على الاسلام ونبي الاسلام وكتاب الاسلام القرآن المجيد ، وانتشرت في تلك الآونة قصيدة للشيخ اسحاق الألبيري يحرّض فيها صنهاجة على التخلص من هذا الوزير اليهودي الوقح ومن كل قومه الذين بغوا وتجبرّوا . وفيها يقول:

وإني احتللت بـ (غرناطة) ... فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسّموها ، وأعمالها ... فمنهم بكل مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها ... وهم يخصمون ، وهم يقضمون
وهم يلبسون رفيع الكِسا ... وأنتم لأوضاعها لابسون
وهم أمناكم على سرّكم ! ... وكيف يكون أمين خؤون ؟

ورد ابن حزم على رسالة ابن النغريلة ردّا قويا أثارت المسلمين ضد هؤلاء اليهود الفجرة ، فثارت صنهاجة وثار المسلمون أجمعون وقتلوا ابن النغريلة ومن معه من اليهود .

رسالة ابن حزم في الرد على ابن النغريلة:

بدأ ابن حزم رسالته بنقد أولي الامر من المسلمين الذين وسدّوا أمور الدولة الى أعدائها ، وملكّوا لهم فيها فقال : "اللهمّ إنا نشكو اليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن اقامة دينهم ، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعته اللازمة لمعادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموال ربما كانت سببا الى انقراض أعمارهم ، وعونا لأعدائهم عليهم ، عن حياطة ملّتهم التي عزّوا بها في عاجلتهم ، وبها يرجون الفوز في آجلتهم ، حتى استشرف لذلك أهل القلّة والذلّة ، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقّق النظر أرباب الدنيا لاهتمّوا بذلك ضعف همّنا ، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء ، والحميّة للملّة الغرّاء . ثم هم بعد متوّدون بما يؤول اليه اهمال هذه الحال من فساد سياستهم ، والقدح في رياستهم ، فللأسباب أسباب ، وللمداخل الى البلاء أبواب والله أعلم بالصواب".

واستخدم ابن حزم التحذير والانذار مستشهدا بقوله تعالى : { **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**}[هود : 113] ، وقوله تعالى :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**}[النساء 144] ، وقوله تعالى :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}[المائدة: 51].

وحذّر من يهود ومكر يهود قائلا : لا سيما إذا كان العدو من عصابةلا تحسن إلا الخبث مع مهانة الظاهر ، فيأنس المغترّ الى الضعف البادي (وذلك كان في زمنه ، أما اليوم فيعلنون صلفهم وكبرهم وتجبرّهم) . وتحت ذلك الختل والختر والكيد والمكر" .

ثم رد على رسالة ابن النغريلة أفحم ردٍ وأقواه ، ولم يترك له قولا الا نقضه ، ولا رأيا الا أبان خطأه وخطله . وبين مافي التوراة المحرّفة من أباطيل وتناقضات تدلّ دلالة قطعية على أنها قد حُرّفت وبُدّلت . ثم أنهى رسالته بقوله : "إن أملي لقوي ، وإن رجائي مستحكم ، في أن يسلطّ الله تعالى على من قرّب هؤلاء وأدناهم وجعلهم بطانة وخاصة ، ما سلط على اليهود .. فمن سمع هذا كله ثم أدناهم وخالطهم بنفسه من ملوك الاسلام فإنه ان شاء الله قمين على ان يحيق الله عزّ وجلّ به ما أحاق من الذلّة والمسكنة والهوان والصغار والخزي في الدنيا ، سوى العذاب المؤلم في الاخرة" .

ومنمن تولى الوزارة بحر بن اسحاق القرطبي النصراني ، تولى الوزارة لدى عبد الرحمن الناصر الثالث بعد ان كان طبيبا خاصا له .

ومن هؤلاء اليهود الذين تولوا الوزارة يعقوب بن كلس ، الذي وزر للمعزّ لدين الله الفاطمي ، ثم وزر لابنه نزار الملقب بالعزيز ، وهو أول وزير في هذه الدولة ، وقد ولد يعقوب ابن كلس في بغداد سنة 318هـ/980م ، واشتغل بالتجارة والطب فترة شبابه ، ثم سافر الى الشام وهو في سن المراهقة وكسب ثقة التجار حتى بلغ درجة وكيل للتجار .. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق : "أنه كان يهوديا خبيثا ذا مكر ودهاء وفطنة وذكاء .. وكان في قديم أمره خرج الى الشام فنزل الرملة (في فلسطين) ، وصار بها وكيلا للتجار ، فكسر أموال التجار وهرب الى مصر" .

وفي مصر كسب ثقة رجال كافور الاخشيدي ، ثم ثقة كافور نفسه ، ولم تزل أحواله تتزايد مع كافور حتى صار الحُجّاب والاشراف يقومون له ويكرمونه ، وأمر كافور بأن لا يُصرف دينار ولا درهم الا بتوقيع يعقوب بن كلس ، وقال عنه كافور :" لو كان مسلما لصلح ان يكون وزيرا" ، فقرّر من فوره ان يعلن الاسلام ، وذلك في شهر شعبان سنة 366هـ وأسلم على يد كافور نفسه في الجامع العتيق (وهو جامع عمرو بن العاص في مصر القديمة) ، وقد شكّك ابن عساكر في صدق اسلامه ، وكذلك فعلت (دائرة المعارف الاسلامية) وهي من وضع مجموعة كبيرة من المستشرقين الغربيين . واتهمه ابو يعلى القلانسي في كتابه (ذيل تاريخ دمشق) بأنه يهودي ماكر لم يسلم الا طمعا في الوزارة .

ولكن كافور لم يوله الوزارة حيث أبقى كافور على وزيره جعفر بن الفرات (ابن خنزابه) وكان يحذّر كافور منه . ولم يلبث كافور الا قليلا حتى وافته المنيّة فاهتبل ابن الفرات الفرصة ، وصادر أموال يعقوب وسجنه ، ولكن يعقوب استطاع بالرشوة ان يخرج من السجن ، وانطلق الى المغرب ، حيث لقي جوهر بن عبد الله الصقلّي مولى المعزّ لدين الله الفاطمي وأكبر قواده ، وتقرّب الى جوهر ، ودلّه على العورات في مصر وشجّعه على دخولها ، وتوجّه الى المعز لدين الله فصار من حاشيته وكبار رجال دولته.

ولم يزل يترقّى في خدمة المعز لدين الله الفاطمي حتى تولى أمر الديوان ثم تولى الوزارة .

وكان يعقوب بن كلس يقرّب العلماء والادباء والشعراء ويعطي الجزيل من المال فمدحه الشعراء ، ووقفوا على بابه حتى عظُمَ أمره ، وصار يعرف بالوزير الاجلّ ، وضبط أمور الدولة ولا سيما المالية منها .

ولما تولى العزيز (نزار بن معد) بعد وفاة والده سدّة الحكم اشتد ولعه بابن كلس ، حتى صار لا يمضي أمرا من الأمور من دون مشورته ، فلما مات يعقوب بن كلس حزن عليه العزيز حزنا شديدا ،وبكاه ولحّده بنفسه ، وكُفّن وحُنّط بعشرة آلاف دينار . وخرجت القاهرة كلها في موكب جنازته ، ورثاه مئة شاعر ، فأجازهم العزيز جميعا.

ثم تولى الوزارة عيسى بن نسطورس النصراني وهو من أقباط مصر ، وفيه جلادة وكفاية ، ومال الى النصارى من قومه ، فقلّدهم الاعمال والدواوين ، وطرد المسلمين من وظائفهم الهامة في مصر كلها ، واستناب في الشام رجلا يهوديا يعرف بمنشأ بن ابراهيم بن الفرار (وقيل:القزاز) فسلك مسلكه في التوفر على اليهود ، وطرد المسلمين من الدواوين ، وجعلها حكرا على بني ملته.

واغتاظ المسلمون ، فرفعت امرأة ظلامتها في رقعة أثناء سير العزيز ورمتها اليه ثم انسلّت ، وفيها تقول : "يا أمير المؤمنين ! أسألك بالذي أعزّ النصارى بعيسى بن نسطورس ، واليهود بمنشأ بن الفرار ، وأذلّ المسلمين بك الا نظرت في أمري" فحاولوا الوقوف على المرأة فلم يستطيعوا ، وتفكّر العزيز في قولها مليّ، ثم قام وقال : "صدقت كاتبتها . تنبّهنا على غلط فيه وغفلة عنه " ، ثم أمر بالقبض على عيسى بن نسطورس ، وطرد الكُتّاب والمتصرّفين من اليهود والنصارى ، وارجاع المسلمين الى وظائفهم . ولكن هذا الامر لم يستمر ، حيث استطاع عيسى ببذله الاموال والاستشفاع بست الملك بنت العزيز التي كانت امها نصرانية ، وكان لا

يرد لها طلبا ، أن يطلب الصفح من العزيز فصفح عنه ، ثم أعاده الى الوزارة بشرط استخدام المسلمين في الدواوين فحمل اليه عيسى ثلاثمائة ألف دينار ذهبا ، وقدمها للعزيز فاستعاد مكانته .

وتولى أبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابي الحرّاني ديوان المظالم وديوان الرسائل في أيام المطيع لله العباسي . وعرض عليه عزّ الدولة الوزارة الكبرى ان اسلم ، فأبى ، رغم انه كان يحفظ القرآن الكريم ، وكثيرا ما يستشهد بآياته في رسائله ، وألف كتابا في تاريخ بني بويه ، ولكن بلغ عضد الدولة البويهي انه يقول عن هذا الكتاب : انها " أباطيل أنمّقها وأكاذيب ألفقّها" فغضب عليه عضد الدولة وأراد قتله ، ولكن المنية عاجلته ، وعاش أبو اسحاق بعدها في عزلة حتى وفاته سنة 384هـ ، فرثاه الشريف الرضي بقصيدة طويلة وقال : إنه يبكي فيه أخلاقه الرضيّ .

وتولى أمين الدولة **ابو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله بن إبراهيم البغدادى النصرانى المعروف بابن التلميذ** (466 هـ 560- هـ) الوزارة : كان أوحد زمانه في الطب ، ورئيسا للأطباء (ساعور) في البيمارستان العضدي ، ثم تولى الوزارة بعد ان تولى رئاسة الاطباء وامتحانهم في بغداد . وكانت وفاته سنة 560هـ وله من العمر 94 عاما . وقد مدحه الشعراء ومنهم : السيد نقيب السادة الاشراف ، والشريف أبو يعلى محمد بن الهبارية العباسي ، والشاعر أبو اسماعيل الطغرائي .

ومنهم أمين الدولة **أبو الفتح بن أبي النجم النصراني تولى الوزارة الايونبية** في مصر بعد أن عمل بالطب فترة .

ومنهم أمين الدولة الصاحب **أبو الحسن بن غزال بن سعيد السامري (اليهودي)** . كان طبيبا للملك الامجد بهرام شاه الايوبي ، ثم تولى الوزارة . ولما توفي الأمجد ، وتولى الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن الملك العادل الحكم أبقاه في الوزارة . وكان أمين الدولة أبو الحسن بن غزال السامري يستولي على اموال الناس في دمشق ، ويرتشي ، فبلغ ذلك الملك الصالح ، فصادر أملاكه وسجنه .

ومنهم أمين الدولة **أبو الفرج صاعد بن هبة الله النصراني** ، تولى الوزارة للخليفة الناصر العباسي بعد أن اشتغل بالطب ، ولكنه كان فظا مع الجند ، وأساء معاملتهم ، فقتلوه عام 620هـ.

ومنهم **أبو الفرج بن القف الطبيب الجراح** ، من نصارى الكرك بالاردن ، تولى الوزارة وكانت وفاته سنة 685هـ .

وتولى **فهد بن ابراهيم الذي كان يلقب بالرئيس ، الوزارة** ... كما تولى **منصور بن عبدون الملقب بالكافي ، وزرعة بن نسطورس الملقب بالشافي .. وكل هؤلاء في العهد الفاطمي في** مصر .

وقد ازداد نفوذ النصارى في مصر الفاطمية عندما تزوج الخليفة الفاطمي العزيز بالله (344-386هـ /955-996م) بنصرانية تتبع المذهب الملكاني (وهو مخالف للمذهب اليعقوبي

الذي كان عليه أكثر أقباط مصر) ، فتولى أخوها بطريركية القاهرة سنة 375هـ/985م ، ثم تولى بطريركية الاسكندرية (وهي الاكبر والاهم في مصر) سنة 390هـ-1000م.

كما تولى أخوها الثاني بطريركية الملكانيين في القدس سنة 375هـ /985م ، وكان لهذه الزوجة ثم لابنتها (ست الملك) نفوذ طاغ على الخليفة العزيز بالله ، وقد أدى ذلك الى نفوذ النصارى الضخم في مصر والشام ، التابعة للدولة الفاطمية ، كما سبق أن أشرنا الى نفوذ اليهود الكبير في هذه الدولة وتوليهم المناصب حتى قال الشاعر الحسن بن بشر الدمشقي متهكما:

تنصرّ فالتنصر دين حقّ
عليه زماننا هذا يدّلُ
وقل بثلاثة عزّوا وجلّوا
وعطّل ما سواهم فهم عُطلُ
فيعقوب الوزير أب ، وهذا
العزيز ابن ، وروح القدس فضلُ

ويقصد بيعقوب ابن كلس الذي كان في درجة الاب للخليفة العزيز الذي ولع به ولعا شديدا ، ولم يكن يمضي أمرا دون مشورته .

وقال الشاعر الخلال ينعي على سيطرة النصارى على شؤون المسلمين في مصر :

إذا حكم النصارى في الفروجِ ..... وغالوا في البغال وفي السروجِ

وذلّت دولة الاسلام طرّا ..... وصار الامر في أيدي العلوجِ

فقل للأعور الدجّال هذا ..... زمانك ان عزمت على الخروجِ

وفي سنة (529هـ) استوزر الحافظ لدين الله الفاطمي أحد قواد جيشه وهو بهرام الأرمني ، فصارت له قيادة الجيش والوزارة الكبرى ، وتضخمت سلطته في الدولة الى حد خطير جدا ، حيث قام بفصل المسلمين من وظائفهم وعيّن بدلا عنهم النصارى ، وبنى مئات الكنائس والاديرة ، حتى صارت الكنائس ظاهرة في أحياء المسلمين ، واستبدّ النصارى بالمسلمين وأهانوهم وأذلّوهم ، مما أدّى في النهاية الى ثورة العامة ، حتى اضطر الخليفة الفاطمي الى عزله . ويقال : إن العامة في هياجها قامت بقتله .

حتى قال المستشرق الألماني البحاثة (آدم متز) في كتابه (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري) [ج105/1] : " لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الاسلام" . وكان كبار الموظفين في الدولة من النصارى أو من اليهود أو الصابئة ، وكانوا يذلّون المسلمين .

وذلك بسبب تساهل الحكام مع اهل الذمة من اليهود والنصارى الذين تولوا الوزارات الهامة في الدولة ، كما كانوا يشكّلون طبقة كبار التجار والاثرياء وجامعي الضرائب ، بالاضافة الى كون طبيب الخليفة او السلطان او الامير في معظم الاحيان منهم .

ونتيجة لهذا النفوذ الضخم والاستبداد الذي كان يظهره اليهود والنصارى تجاه عامة

المسلمين وإذلالهم ، فإن ذلك قد أدّى الى ثورات شعبية عديدة ضد هؤلاء اليهود والنصارى . فكما أوضحنا في قصة ابن النغريلة يوسف بن اسماعيل الذي تولى الوزارة بعد ابيه في غرناطة ، وتجرؤه على سبّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعارضة القرآن بزعمه ، فقد هاجت قبيلة صنهاجة ، والعامة ، والعلماء وعلى رأسهم ابن حزم ، وقتلوا في يوم واحد أربعة آلاف يهودي ، مما اضطر كثيرا من اليهود الى الفرار من غرناطة الى مناطق أخرى من الاندلس والى المغرب .

وكانت هذه الحوادث تتكرّر بحسب ما يفعله هؤلاء بالمسلمين ، فتحدث ثورات شعبية من حين لآخر ضد استبداد هؤلاء اليهود ووقاحتهم وإذلالهم للمسلمين.

وعندما هجم التتار على بلاد المسلمين تنصرّ قرة هولاكو ، وتزوج هولاكو من نصرانية جميلة ، بعثها له البابا . وتنصرّ (كيوك) من أمراء المغول ، كما تنصرّ (كتبغا) ودخل في النصرانية النسطورية تبعا لزوجته . فلما دخل هؤلاء التتار الى دمشق انحاز النصارى الى سلطة التتار .. ويصف المقريزي في كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) (ج1:ص425-432) موقف هؤلاء النصارى في الشام من المسلمين في وقت الغزو التتري المتمثل بكتبغا النصراني النسطوري فيقول :

"واستطال النصارى بدمشق على المسلمين ، واحضروا فرمانا من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان ، ورشّوه على ثياب المسلمين في الطرقات ، وصلّبوه على أبواب المساجد وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم ، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب ، وصاروا يمرون به في الشوارع الى كنيسة مريم ، ويقفون به ، ويخطبون في الثناء على دينهم ، وقالوا جهرا : "ظهر الدين الصحيح ، دين المسيح" ، وخرّبوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم ، فقلق المسلمون من ذلك ، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو ، وهو كتبغا ، فأهانهم وضرب بعضهم ، وعظّم قدر قسوس النصارى ، ونزل الى كنائسهم وأقام شعائرهم".

فلما انتصر المسلمون على التتار في عين جالوت (658هـ/1260م) ووصل كتاب السلطان قطز الى أهل دمشق يبشرّهم بالنصر " وبفتح الله له وخذلانه التتر ، سرّ الناس سرورا كثيرا ، وبادروا الى دور النصارى فنهبوها ، وخرّبوا ما قدروا على تخريبة" كما يقول المقريزي في كتابه (السلوك لمعرفة دولة الملوك) ، وكما ينقله عنه الاستاذ الدكتور محمد عمارة في كتابه (في المسألة القبطية حقائق وأوهام).

وما وقع لليهود والنصارى من حوادث في بعض الأوقات انما هو ناتج عن استطالتهم على المسلمين وابتدائهم الاذى لهم ، واحتقارهم ، وفي بعض الحالات سبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسبّ الاسلام والقرآن علنا .

ومن ذلك ما رواه المقريزي في (خططه)وجمع الاستاذ (مينا اسكندر)فيما أسماه (القول الابريزي للعلامة المقريزي) جمع فيه ما ذكره عن أقباط مصر في (خططه) ، حيث ذكر أسباب انتفاضة سنة 721هـ/1320م من أن النصارى عملوا كتابا لدى الامراء الخاصكيّة وترفعّوا على المسلمين ، وكان منهم كاتب نصراني (والكاتب عندهم يجمع الضرائب أيضا)لدى أمير

يدعى (عين الغزال) ، فجاء سمسار مسلم وكان تأخر عن دفع ما عليه من ضريبة ، فأخذ يستسمح الكاتب ، والكاتب يغلظ له القول ، فقتل المسلم رجل الكاتب النصراني ، والنصراني لا يزداد إلا عتوا وسبّوضربا للمسلم ، فتجمع الناس ، واستشفعوا له ، وهو لا يزداد الا صلفا وتجبرّا ، فغضب الناس وألقوا الكاتب النصراني عن حماره ، وأطلقوا السمسار ، وكان النصراني قد قرب من بيت الأمير (عين الغزال) فاستنجد بالأمير فبعث له غلمان ، فخلصوه من الناس ، وشرعوا في القبض عليهم ليفتكوا بهمم .

فذهب فريق من الناس مسرعين الى قلعة السلطان ، وصاحوا " نصر الله السلطان" ، فأرسل يستكشف الخبر ، فعرّفوه ما كان من استطالة النصراني على السمسار ، وما جرى له ولهم ، فطلب السلطان الامير عين الغزال ، وأحضر الامراء وجميع النصارى الكتّاب لديهم الذين استطالوا على المسلمين وأذلّوهم ، فأمر بقتل النصارى هؤلاء ، فتقدم اليه الامراء واستشفعوا لهم ، فأمر السلطان الاشرف خليل ألا يُستخدم اليهود والنصارى في دوائر الدولة ، ولا عند الامراء . وأمر الأمراء أن يعرضوا الاسلام على من لديهم من الكتّاب والموظفين من أهل الكتاب ، فمن قبل الاسلام تركه في وظيفته ، ومن أبى أخرجه من الوظيفة ،فأظهروا الاسلام ، فأنعم عليهم السلطان بالتشريفات وبقوا في وظائفهم ، حتى قال الشاعر :

أسلم الكافرون بالسيف قهرا ... وإذا ما خلوا فهم مجرمونا

سلموا من رواح مال وروح ... فهم سالمون لا مسلمونا

ولا شك أن هذا الاجراء غير صحيح ، ولا يجوز اجبارهم على الاسلام بل كان الواجب كما فعل عمر بن عبد العزيز من قبل ان يخرجهم من الوظائف الهامة التي فيها سيطرة على المسلمين فمن اختار الاسلام بعد ذلك ، أعاده الى وظيفته ان أحب .

وواضح من التاريخ الاسلامي في مصر والشام والعراق والاندلس وغيرها من الأقطار ، التسامح مع أهل الاديان الاخرى من اليهود والنصارى والصابئة ،بل والمجوس في فارس وبلاد ما وراء النهر الى الهند والصين . وكانت معاملة المسلمين لأهل الكتاب خاصة تتميز بالتسامح والتزاوج الى حد ان كثيرا من أبناء الأمراء وبعض الخلفاء أو السلاطين كانوا أبناء نصرانيات أو يهوديات[1]. كما أن كثيرا من هؤلاء اليهود والنصارى تولوا المناصب الهامة والعامة في الدولة حتى وصل كثير منهم الى منصب الوزير (وهو ما يعادل رئيس الوزراء اليوم) . كما أن كثيرا منهم كان وزيرا للمالية أو المسؤول المالي في الدولة ، وخاصة في الدولة الاموية ، ثم العباسية والفاطمية .. وكانت جباية الجزية والخراج والعشور (الضرائب) بتولاها في كثير من الاحيان موظفون من هؤلاء اليهود والنصارى والصابئة .. وقد وصل الامر الى حد أن يتحكّم الكتاب والموظفون من اليهود والنصارى خاصة بالمسلمين ، ويفرضون عليهم الغرامات الضخمة حتى حملوا أحد كتاب المسلمين على بيع أولاده وبناته بغرامة فرضوها عليه ، (كما ذكر المقريزي ذلك في خططه) ونقل عنه ذلك الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه

[1] من الملاحظ أن بعض الاسر والعائلات الكبيرة في سوريةولبنان وفلسطين والاردن الى يومنا هذا تنقسم الى مجموعة مسلمة ومجموعة نصرانية وأخرى درزية ، وكلهم من العائلة نفسها ، ومن أشهر هذه العائلات عائلة شهاب في لبنان ، حيث منهم مسلمون ودروز ونصارى ، والشيء ذاته يقال عن عائلات الحداد والصائغ.. الخ . والعلاقات بينهم قائمة على المودة والمحبة.

(التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام)[1].

لهذا كله نجد المستشرق البريطاني المشهور (سيرتوماس أرنولد) (1864-1930م) يقول في كتابه (الدعوة الى الاسلام)[2] : " انه من الحق أن نقول : إن غير المسلمين قد نعموا ، بوجه الاجمال ، في ظل الحكم الاسلامي بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلا في أوربة قبل الازمنة الحديثة ، وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط اسلامي يدل على الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على أيدي المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية ، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب والتسامح".

وقارن هذا الباحث المنصف بين انتشار الاسلام بالدعوة وتسامحه مع اهل الاديان الاخرى وبين ما فعل الاوربيون الذين نشروا دينهم بالسيف والسيف فقط . فشارلمان (742-814م) فرض المسيحية على السكسونيين بحد السيف . وكذلك صنع الملك (كنوت) في الدانمارك وجماعة (اخوان السيف)في بروسة ، والملك (أولاف ترايجفسنون) في النرويج ، والامير (فلاديمير) في روسية 988م ، والاسقف (دانيال بيتروفتش) في الجبل الاسود ... الخ

وكل هؤلاء استطألوا على المخالفين للمسيحية ، وقطعوا أيديهم وارجلهم ، وذبحوهم حتى يفرضوا عليهم النصرانية . بل إن أوروبا ضاق صدرها بالتعددية المذهبية ، فما فعله اللاتين الكاثوليك عند ذهابهم الى بيت المقدس ليحرّروها من الوثنين المسلمين (حسب قولهم) ، مرّوا على القسطنطينية الارثوذكسية فذبحوا أهلها ونهبوا ديارها لانهم مخالفين لهم في المذهب .. وكم ذبحوا من المصريين الأقباط اليعاقبة المخالفين لهم في المذهب ، حيث كانت الدولة الرومانية ملكانية والاقباط يعاقبة ، فقتلوا منهم وسلخوا جلودهم وعذبوهم حتى فضل النصارى في مصر حكم المسلمين ، فناصروا عمرو بن العاص ، وكانوا عونا له ضد الرومان .. والامر كذلك في الشام ، بل ان أوروبا عاشت الحروب الدينية بين البروتستانت والكاثوليك فترة طويلة من الزمان ، ومنها : حروب (الروزيس) ، وحرب الثلاثين عاما ، وحرب المئة عام .. ومنها محاكم التفتيش في اسبانيا ، وطردهم المسلمين واليهود منها بعد أن اجبروا سكانها على التنصير أو الطرد ، وبعد أن قتلوا وعذبوا عشرات الآلاف.

ومن المعلوم ما فعلوه بالهنود الحمر في الامريكيتين وكيف فرض الاسبان والبرتغاليون عليهم المسيحية بحدّ السيف . أما في أمريكا الشمالية فأبادوهم ابادة تامة ، ولم يبق منهم إلا النزر اليسير .

وللأسف فإن كثيرا من اليهود والنصارى عندما رأوا عدل الاسلام لم يكتفوا بما وصلوا اليه

---

[1] اصدار دار القلم بدمشق ص61-63 ، الطبعة الثانية .

[2] الدعوة الى الاسلام ، سير توماس أرنولد ، ترجمة د. حسن ابراهيم حسن وزملاؤه ، ص729، 730.
THE PREACHING OF ISLAM A History of the Propagation of the Muslim Fait
T.W. ARNOLD MA. LONDON CONSTABLE & COMPANY Ltd. 1913 CHAPTERS 3-6, p.45-145

من الثروات والمكانة العالية في المجتمع ، ولكن بمجرد ان وصلوا للمناصب العالية في الدولة ، قاموا بالفعل بإذلال المسلمين ، وانتهاك حرماتهم ، وسبّ دينهم كما أشرنا الى ذلك ، فأدّى هذا العمل الاجرامي الى ثورات ضد الناكرين للجميل ، الناكثين للعهود ، مما أدّى الى اضطهاد محدود لهؤلاء اليهود والنصارى لفترات محدودة من الزمان .

ويرجع الباحث والمؤرخ المسيحي اللبناني (جورج قرم) هذه التوترات الطائفية الى :

1 - المزاج الشخصي المختلّ لبعض الحكام المسلمين ، والذي عمّ الاضطهاد فيه المسلمين والنصارى واليهود ، وأظهر الأمثلة هو المتوكل العباسي[1] الذي أمر بهدم أماكن الشيعة ومساجدهم وقبر الحسين ، وحرث القبر والارض المحيطة به ، كما أنه شدّد الامر على اليهود والنصارى في الدولة .

وفي الدولة الفاطمية ظهر الحاكم بأمر الله وهو رجل مختل عقليا ، فقد كانت أوامره متناقضة ، فأحيانا يكرم أهل الكتاب ، وأحيانا ينكّل بهم . وقد أمر بهدم كنيسة القمامة (القيامة) في القدس عندما بلغه ان الفرنجة هدموا بعض المساجد المسلمين .. وهو أيضا قد شدّد النكير على أهل السنّة، وأمر بسبّ الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وأرضاهم ، وعلّق ذلك في المساجد[2].

2 - العامل الاقتصادي وتردّي الاوضاع الاقتصادية لسواد المسلمين والظلم الذي يمارسه بعض الذميين المعتلين مناصب الدولة العليا ، واهانتهم للمسلمين ، وإذلالهم واحتقارهم.

3 - التدخل الاجنبي في البلدان الاسلامية ، واغراء الحكّام الاجانب للاقليات الدينية غير المسلمة الى التعاون معهم ضد الاغلبية المسلمة .. لقد استخدم الانكليز الأقلية القبطية في أغلب الاحيان ، ليحكموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب.

وهذه ظاهرة نلاحظها في سوريا أيضا ، حيث أظهرت أبحاث المستشرق (جب) و (بوليان) كيف أن هيمنة أبناء الأقليات في المجال الاقتصادي أدّت الى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين المسلمين والنصارى في دمشق سنة 1860 ، وبين الموارنة والدروز في عام 1840و1860م .. فعلاوة على غلوّ الموظفين الذميين في الابتزاز وفي مراعاتهم وتحيّزهم الى حدّ الصفاقة احيانا لابناء دينهم ، بل كانت تصدر منهم استفزازات طائفية بكل معنى الكلمة[3].

ويذكر الدكتور (محمد عمارة)في كتابه (في المسألة القبطية)[4] عدة شواهد من تعاون النصارى مع المستعمرين والغزاة ابتداء من (كتبغا) النصراني النسطوري التتري وقائد قوات هولاكو في الشام حتى انهزامهم في عين جالوت ، بل وقبله ، حيث تعاون كثير من نصارى

---

[1] رغم أن المتوكل اشتهر بعزل أهل الذمة من المناصب العامة الا أن ابن القيم يقول في كتابه(أحكام أهل الذمة) :163/1: إن أهل الذمة قد استطالوا في زمن المتوكل على المسلمين وكثروا في الولايات والجبايات حتى ضجت منهم العامة ، وكانت الاعمال الكبار كلها اليهم ، وكثرت وشايتهم بالمسلمين حتى يسمح لهم بمصادرتهاباسم الدولة . فلما طفح الكيل هاج الناس واتصل علماؤهم وصلحاؤهم بالمتوكل ينصحونه ويخوفونه مغبة غضب الله ، فأمر المتوكل بإخراجهم من المناصب العامة والجبايات والولايات ومنع من استخدامهم ، ولذلك حقد عليه أهل الذمة واتهموه بالعسف والظلم .

[2] د. محمد عمارة ، في المسألة القبطية : حقائق وأوهام ، مكتبة الشرروق ، القاهرة ،2001م ،ص46وما بعدها.

[3] كما ينقله الدكتور محمد عمارة في كتابه (في المسألة القبطية حقائق وأوهام) ،ص 47.

[4] المصدر السابق ،ص 52-54

الشام مع الفرنجة ضد المسلمين ، الى عهد نابليون بونابرت الذي استطاع اغواء مجموعة من نصارى الشام ومصر للتعاون معه حتى قال (الجبرتي) في كتابه (عجائب الآثار في التراجم والاخبار) :

" ان المعلم يعقوب حنّا (1745 – 1801م) تعاون تعاونا وثيقا مع نابليون ، وجرّ مجموعة من الاقباط ليحاربوا المسلمين ، فاشتركوا مع جيش فرنسا في احتلال القرى ونهبها . وجعل لهم بونابرت نصف عضوية (ديوان المشورة) ، أي أنهم صاروا نصف مجموع الاعضاء ، والباقون هم كبار الضباط الفرنسيين .. ويقول (الجبرتي) : "إن الجنرال كليبر فوّض ليعقوب اللعين ان يفعل بالمسلمين ما يشاء ، حتى تطاول النصارى من القبط ونصارى الشوام على المسلمين بالسبّ والضرب ، ونالوا منهم أغراضهم ، وأظهروا حقدهم ، ولم يبقوا للصلح مكانا !! وصرّحوا بانقضاء ملة المسلمين والموحّدين" .

ومع هذا فقد كان كثير من نصارى الشام ونصارى مصر (الاقباط) يقفون ضد المحتلّ الاجنبي .

وفي ثورة أحمد عرابي قام الانكليز باحتلال مصر وتعاون معهم خائن من الاقباط ولوّه الوزارة هو (بطرس غالي) ، وهو جد (بطرس غالي) الذي تولى وزارة الخارجية في مصر ، ثم صار الامين العام لمنظمة الامم المتحدة . وكان بطرس غالي الجد عميلا للانكليز ، فاستفاد من ذلك هو ومجموعة من الاقباط وتولى رئاسة الوزراء ، وولى مناصب الدولة الهامة الأقباط وجعل كثيرا منهم من كبار الموظفين ، وتعاونوا تعاونا تاما مع الانكليز .

ومن المعلوم أن بطرس غالي المعاصر متزوج من يهودية . ومواقفه ضد المسلمين في البوسنة والهرسك واضحة جدا.

وفي ثورة 1919م كان يوسف وهب باشا النصراني عميلا للانكليز وخان الامة وألّف الوزارة !! .

ولاشك ان كثيرا من الأقباط في مصر والنصارى في الشام بمعناه الواسع كانوا ضدّ الاستعمار ومع مواطنيهم من المسلمين ، ولهم مواقف مشرّفة جدا ، ففي ثورة 1919م وقف غالبية الأقباط في مصر مع الثورة ضد الانكليز ، واتحدت الامة ، نصارى ومسلمين ، ضد الانكليز . وكان من أشهر خطباء الثورة مكرم عبيد(نصراني) الذي كان يحفظ القرآن ، ويستشهد بآياته ، ويقول :"نحن مسلمون وطنا ونصارى دينا . اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك وللوطن أنصارا ، اللهم واجعلنا نحن نصارى لك وللوطن مسلمين" ، ويقول : "المصريون عرب .. والوحدة العربية من أعظم الاركان التي يجب ان تقوم عليها النهضة الحديثة في الشرق العربي .. انها حقيقة قائمة وموجودة ، لكنها في في حاجة الى تنظيم ، لتصير البلاد العربية كتلة واحدة ، وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة" .. وذلك قبل قيام الجامعة العربية بعشرات السنين[1].

[1] د. محمد عمارة ، في المسألة القبطية ،ص13

وامتلأ تاريخ الدول الاسلامية المختلفة بأسماء النصارى واليهود والصابئة الذين تولوا الوزارات المختلفة . وكان ما يسمى منصب الوزير يوازي اليوم منصب رئيس الوزراء . وكانت الوزارة على ضربين:

1 - وزارة التنفيذ: ويكون الامر فيها اصلا للخلفية أو الملك أو السلطان ، وهي تشبه الى حد ما النظام الرئاسي حيث يكون رئيس الجمهورية هو المسؤول الاول ثم يأتي بعده رئيس الوزراء وصلاحياته تنتهي عند رئيس الدولة الذي يوجهه.

2 - وهناك وزارة التفويض : حيث تكون السلطات كلها تقريبا لرئيس الوزارة أو الوزير في الدولة أو كاتب الدولة ، ويكون الخليفة أو الملك أو السلطان قد فوّض اليه تسيير أمور الدولة ، وتكون صلاحياته كبيرة جدا . وهي أشبه ما تكون بصلاحيات رئيس الوزراء اليوم في بريطانيا والهند وكثير من الدول.

ومن آخر الوزراء اليهود الوزير يوسف أصلان قطاوي الذي تولى وزارة المالية في مصر سنة 1924م . وفي العراق تولى عدد من هؤلاء اليهود الوزارات المختلفة ، كذلك في المغرب .

وهناك المستشار المالي للملك المغربي السابق والحالي فهو من اليهود المغاربة الخبراء بالشؤون المالية والذي له علاقات بالدوائر المالية في أوربا وغيرها.

وأما النصارى الذين تولوا الوزارات في البلاد العربية في العصر الحديث ، فعددهم كبير جدا ، وخاصة في مصر وسوريا ولبنان والعراق والاردن . وكان طارق حنا عزيز نائب الرئيس صدام في العراق آخر هؤلاء القوم في العراق.

وفي سوريا تولى رئاسة الوزراء فارس الخوري أكثر من مرة . وكان رجلا كفؤا ووطنيا مخلصا .

وفي لبنان ينصّ الدستور على ان يكون رئيس الجمهورية مارونيا مسيحيا ، وذلك ما فرضته فرنسا عند الاستقلال . وتشترط الوزارة على عدد كبير من النصارى .. مع أن المفروض في النظم الديمقراطية ان ينتخب الرئيس من الشعب سواء كان مسيحيا أو مسلما ، ولكن بما أن المسلمين أكثرية فلا بد من النصّ على ديانة الرئيس ليكون مارونيا .

أما الحبشة وارتيريا ذات الاغلبية المسلمة فإنهما تحكمان من قبل النصارى . وكذلك السنغال وبعض البلاد الافريقية ومنها نيجيريا حيث أن كثيرا من رؤسائها من النصارى ، بينما غالبية سكانها مسلمون.

الحكم الذاتي لغير المسلمين

كان لكل طائفة من طوائف غير المسلمين في الدولة الاسلامية حريتها الدينية الكاملة ، بل كانت الطائفة تختار رئيسها ، ويوافق عليه الخليفة ، ويصدر مرسوما بذلك. ويعطيه الخليفة أو السلطان صلاحيات كاملة ، ليس فقط في النظر في الشؤون الدينية للطائفة ، بل أيضا في النظر في شؤونها الاخرى ، ويحق لهم التقاضي لديه أو لدى من ينوبه.

ويجعل الخليفة أو السلطان لهذا الرئيس شرطة وسجنا ، وله حق تنفيذ الاحكام بين أبناء طائفته دون الرجوع الى المحاكم الاسلامية .

ولم يكن الجاوون (رئيس اليهود) أو رئيس البطارقة (رئيس النصارى) يدين بالولاء والخضوع لأحد سوى الخليفة أو السلطان .. ومع هذا فيحق لأبناء الطائفة ان يتحاكموا الى القضاء الاسلامي إذا أرادوا ذلك . وأن يحكم بينهم بالعدل والانصاف كما أمرت بذلك الشريعة الاسلامية الغرّاء. وهذا كله قد حدث في التاريخ الاسلامي منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نهاية الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني والسلطان محمد رشاد . وقد تحاكم اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طمعا في أن يخفف عنهم بعض أحكام التوراة ، قال تعالى عنهم :{ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43)** }[المائدة :42-43]

وكان الحكم فيها برجم الزاني والزانية المحصنين ، فأرادوا أن يبتعدوا عن هذا الحكم ، فجاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، املا في أن يحكم بحكم آخر ، فجاء بالتوراة وقال لقارئهم : افتحها واقرأ ، فجاءت على آية الرجم عندهم فغطاها بيده ، فنزع عنها يده فقرأها فإذا فيها حكم الله وهو الرجم، فنزلت تلك الايات تفضحهم أنهم ليسوا على شيء ، وأنهم يبتعدون عن حكم التوراة إذا لم توافق هواهم والحكم فيها موجود الى اليوم . وهي من الآيات التي لم تحرّف.

وهكذا كان لليهود والنصارى نوع من الحكم الذاتي داخل اطار الحكم الاسلامي العام . وهو ما لم يحصل عليه المسلمون عندما يعيشون كأقليات ، بل ويمنعون نساءهم حتى من لبس منديل على الرأس في بلاد الحرية والديمقراطية (فرنسا ، ألمانيا .. الخ) ، بل يمنعون نائبة في البرلمان التركي من أن تغطي رأسها بمنديل ، ويطردونها من البرلمان بسبب هذه الجريمة (في عهد العسكر)!! ولاشك انهم يحاربون المسلمين حتى في أوطانهم ، ويمنعونهم من تنفيذ الشريعة حربا شعواء وذلك في تركيا والجزائر ونيجريا ، حتى في الولايات التي أغلبيتها الساحقة مسلمون ، ويمنعونهم من ذلك ، ويشغبون عليهم شغبا عظيما .

بل انهم يشغبون على السودان عندما أرادت تطبيق أحكام الشريعة مع ان حكومة السودان سمحت لغير المسلمين ان يتحاكموا الى شريعتهم وقانونهم . بل سمحت للمناطق الجنوبية حيث الاكثرية وثنية ويتساوى المسلمون والمسيحيون فيها بأن يحكموا بالقانون الذي يرضونه ، ثم سمحت لهم بالانفصال التام واقامة دولتهم المستقلة ..

والحملة على الاسلام واتهامه بالتعصب والارهاب مستمرة رغم ان الارهابيين الحقيقيين هم اليهود في اسرائيل وأعوانهم وهم المتعصبون المغالون في التعصب ، والاسلام براء من هذا التعصب ، بل على العكس كان المسلمون في تاريخهم الطويل متسامحين جدا مع غير المسلمين لدرجة البلاهة ، وتولية غير المسلمين المناصب الهامة جدا في الدولة ، مع ان الاسلام لا يقبل ان يتسلطوا على المسلمين في ديار المسلمين .. ورضي الله عن عمر الفاروق حيث كتب له أبو موسى الاشعري يخبره ان لديه بالعراق (وكان واليا له من قِبَل عمر) غلاما نصرانيا فطنا لقنا خبيرا بالحساب ، واراد ان يوليه الامور المالية في ولايته، فكتب له عمر : لا توله حتى يسلم ، فكتب ابو موسى مرة أخرى يقول : ان الغلام أبى الاسلام ، وانه محتاج له ليتولى الشؤون المالية ، فكتب له ابن الخطاب لما أكثر عليه القول : "مات الغلام والسلام" .. فرضي الله عن الفاروق الذي ادرك خطورة توليه غير المسلمين مناصب الدولة الهامة[1].

ومع ذلك هو هو ابن الخطاب القائل لعمرو بن العاص فاتح مصر ووالیه عليها : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . وهو الذي جعل قبطيا من مصر يسابق ابن الامير فلما سبقه القبطي غضب ابن الامير فلطم القبطي .. وكم كان الاقباط يتلقون من الرومان اللطمات والركلات والجلد والسخرة ، فلما جاء الاسلام امتلأت قلوبهم عزة وكرامة وأنفة من الذلة ، وتساوى الجميع في الكرامة والانسانية والحقوق العامة والواجبات ، وتحرّك القبطي من مصر الى المدينة المنورة عاصمة الخلافة .. ولو حدث مثل ذلك اليوم ، بل ويحدث كل يوم ان يلطم شرطي او ضابط صغير أحد أفراد الشعب فلا يتحرك أحد ، ويعتبر ذلك أمرا عاديا .. وقد امتلأت نفس هذا القبطي بالعزة والكرامة ، وعرف ان حقّه لن يضيع ، فتجشّم عناء السفر في الصحراء من مصر الى المدينة المنورة ، ولم يمنعه أحد ، ولم تكن هناك اجراءات ولا جوازات ولا أذونات ، ولا قال له أحد : هذه مدينة الرسول لا يدخلها كافر ، فذهب ودخلها وقدم شكواه مباشرة لامير المؤمنين الذي أمر له بنزل وعطاء ، وارسل في طلب عمرو بن العاص وابنه ، والرحلة من مصر الى الميدنة تستغرق آنذاك شهرا كاملا . والقبطي يعيش عيشة الأحرار المكرمين في ضيافة دولة المسلمين .

فلما جاء عمرو وابنه ومثلا أمام عمر ، اعترف ابن عمرو بما فعل ، فأمر أمير المؤمنين القبطي ان يضرب ابن امير مصر وفاتحها كما ضربه . وأمره بضرب عمرو بن العاص نفسه ، لان ابنه لم يتجرأ على ضرب القبطي إلا بسلطة ابيه ، ولكن القبطي توقف ، واعترض عمرو على انه ما شهد ذلك الموقف ولا علم به الا فيما بعد.

وهكذا ملأ النظام الاسلامي الارض بالعدل السامق الذي لم تصل اليه أمة من الأمم لا

---

[1] ذكر ابن القيم في كتابه (أحكام أهل الذمة) فصلا في منع استعمال اليهود والنصارى في ولايات المسلمين وامورهم الهامة (1/156-159) ، وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إنا لا نستعين بمشرك" وذلك في قتال المشركين . كما ورد عن عمر بن الخطاب ومنعه أبي موسى الاشعري توليه كاتب نصراني هذه الوظيفة الهامة ، كما منع عمر معاوية من استخدام الكتاب النصارى في المناصب الهامة للدولة ، وكتب لأبي هريرة والى عماله بأن لا يعينوا غير المسلمين في مناصب الدولة الهامة .

في الماضي ولا في الحاضر ولن تصل اليه حتى في المستقبل المنظور .

وهذه الارادة والقوة التي ملأت نفس هذا القبطي أو ما يسمى اليوم(Empowerment) جعلت الاقباط في مصر يقبلون على الاسلام ، وعلى تعلم العلوم العربية ، حتى أصبح الاسلام دينهم والعربية لغتهم ، بينما فشلت أمة اليونان وأمة الرومان رغم حضارتهم ، واتخاذهم الاسكندرية وطنا لهم (أنشأ الاسكندرية كما هو معروف الاسكندر المقدوني ، فكانت عاصمة البطالسة = البطالمة ، خلفائه من بعده ، ومركز الحضارة العالمي ، وفيها مكتبة الاسكندرية أعظم مكتبات الدنيا في العالم القديم) في فرض اليونانية أو الرومانية لغة الشعب المصري ، ورغم ان الرومان تنصروا بعد المصرين الا أن مذهبهم في النصرانية (المذهب الملكاني) يختلف عن مذهب الاقباط . وظل الاقباط على مذهبهم وتحملوّا من اجله التنكيل والضرب بالسياط والسجن والتعذيب . وقد شاهدت بنفسي تلك الآثار الموجودة الى اليوم في مدينة حلوان (احدى ضواحي القاهرة)

لقد جعل الاسلام الاقباط يناصرون قوات عمرو بن العاص الضئيلة عندما دخل مصر بأربعة آلاف جندي في مواجهة أكثر من مئة ألف من الرومان .. وكانوا يمدون قوات عمرو بالميرة والطعام ، ويدلونه على أماكن العدو وأماكن الغرّة منهم ، بل إن بعضهم قاتل معه الرومان.

وأحيل القارئ الكريم في هذا الموضوع الى رسالة دكتوراه للدكتورة (فاطمة مصطفى عامر) نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة تحت عنوان (تاريخ أهل الذمة في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي) في جزأين .

وقد ذكرت الباحثة الفاضلة أن رئيس البطارقة غضب عندما بدأت الكنائس تخلو من المصلين في أيام عمر بن الخطاب بسبب تحول الناس الى الاسلام ، وكان يسمى ابن الخطاب الدجّال ، فلما جاءت دولة بني أمية وفرضوا الجزية على من أسلم بدأت موجة دخول الاسلام تنحسر ، فتنفس رجال الكنيسة الصعداء ، ولكن ما ان جاء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حتى أقام الاسلام والعدل وقال قولته المشهورة :"ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم داعيا ولم يبعثه جابيا"[1] . ، عندما كتب إليه واليه على مصر ان بيت المال سينكسر اذا رفعوا الجزية عمن أسلم ، وأنصفوا من فرضت عليهم الجزية . فدخل الناس في عهده المبارك القصير في دين الله أفواجا ، حتى قال كبير الاساقفة في عهده : ذهب الدجال (يقصد عمر بن المخطاب) فجاء الدجال الاكبر (يقصد عمر بن عبد العزيز) لأن العدل بعد الجور أكبر دافع للناس الى العودة الى الاسلام ، وأفضل من ألف داع وداع.

والاسلام يأمرنا بالاحسان الى أهل الذمة ، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بالاحسان الى أهل الذمة حتى وهو على فراش الموت "ومن آذى ذميا فقد برئت منه ذمة الله

[1] ذكر ابن القيم في كتابه (أحكام أهل الذمة) :159/1: أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عماله في الافاق : "واعلموا انه لم يهلك من قبلكم إلا بمنعه الحق وبسطه يد الظلم " ثم أمرهم بالعدل في الرعية وفي أهل الزمة ، وأمرهم بأن لا يعمل في أمور الدولة الهامة أحد منهم ، فكتب اليه حيّان ، عامله بمصر : أنه إن دام هذا الامر اسلمت الذمة وبطلت ما يؤخذ منهم ، فردّ عليه عمر: ان الله بعث محمدا داعيا ولم يبعثه جابيا ، وأمر بضرب حيّان ثلاثين على رأسه . فأسلم الآلاف من أهل الذمة.

وذمة رسوله" . بل ان الاسلام قد امر بموادة المشركين والكافرين من اهل العهد اذا لم يكونوا محاربين للاسلام وأهله ، قال تعالى :{ **عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)** }[الممتحنة :7-9].

قال ابن كثير في تفسيره هذه الايات : "قال الامام أحمد (بسنده) : عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش (أي العهد الذي تم في صلح الحديبية) إذ عاهدوا ، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : يارسول الله ! أن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال :"نعم صلي أمك" . وقال أحمد (بسنده) : قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا : ضباب وقرض وسمن ، وهي مشركة ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها ، فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأنزل الله الآية : {**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ** }[الممتحنة:8]. فأمرها ان تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن مصعب بن ثابت وفي رواية لأحمد وابن جرير : قتيلة بنت عبد العزى بن سعد ابن مالك بن حسل".

وهكذا الاسلام دوما يأمر بصلة الكفار والمشركين وأهل الكتاب ما داموا غير محاربين للاسلام وأهله . ولم يخرجونا من ديارنا ، ولم يظاهروا على اخراجنا.

ويزداد الامر بهذه الصلة إذا كانت بيننا وبينهم قرابة مثل الوالدين حتى ولو أمرا ابنهما أو بنتهما بالشرك ، قال تعالى :{ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** }[لقمان:15] ، فلم ينه عن معاملتهما بالحسنى بل أمر بذلك رغم جهادهما في اخراج ابنهما من دائرة الاسلام الى دائرة الكفر والعياذ بالله .

فما اعظم هذا الدين وابركه على البشرية جمعاء . ولا سبيل للبشرية بالخلاص مما هي فيه من ظلم وظلمات الا بالاهتداء بأنوار هذا الدين الداعي الى المحبة والوئام والسلام[1].

[1] محاضرة ألقيت في النادي الأدبي بجدة في 1424/4/22هـ الموافق 2003/6/22

الفهرس

مقدمة 2
-الحوار في القرآن 2
-التحذير من الأماني الكاذبة 8
-العدل الصارم 9
الشاهد الأول : قصة ابن أُبيرق 10
الشاهد الثاني : مقدم النبي ص الى المدينة الذي وضعه للمسلمين واليهود 15
الشاهد الثالث : آية المباهلة وقصةوفد نجران 17
الشاهد الرابع : قيمة الانسان وكرامته 24
الشاهد الخامس: نكاح الكتابيات 26
-زواج النبي ص من جويرية بنت حارث رضي الله عنها 28
-زواج النبي ص من صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها..... 28
-مارية القبطية 32
-تزوج الصحابة من الكتابيات 32
الشاهد السادس : دخول الاسلام الى سقطرى ومعاملتهم للنصارى 35
-تعريف بسقطرى 35
-النصرانية في سقطرى 36
-دخول الاسلام الى سقطرى 37
-سقطرى وحضرموت في عهد الشراة ثم الاباضية 38
-النصارى ينقضون العهد 38
-قصيدة الزهراء الجهضمية السقطرية للامام الصلت 39
- نظرة في عهد الامامالصلت لقواده وجنوده 40
-البرتغاليون وجزيرة سقطرى 44
الشاهد السابع : التداوي عند الطبيب غير المسلم 48

-في استئجار النبي ص عبد الله بن أريقط دليل على جواز التداوي عند الطبيب غير المسلم 49
-الحارث بن كلدة الثقفي 50
-زينب زوجة عبد الله بن مسعود يرقيها يهودي ، وعائشة رضي الله عنها ترقيها يهودية 50
-ذكر بعض الأطباء من أهل الذمة العهود الاسلامية..... 51
-الاطباء من غير المسلمين في العهد النبوي والراشدي 52
-الاطباء من غير المسلمين في العهد الاموي 53
-الاطباء من غير المسلمين في العهد العباسي 55
أ -الاطباء من النصارى 55
ب -الاطباء من الصابئة 61
جـ- الاطباء من الهنادكة 62
من أطباء العهد العباسي وخاصة بغداد وماحولها 63
-أشهر أطباء المغرب والاندلس 65
-الاطباء غير المسلمين في مصر والشام 66
-أشهر أطباء صلاح الدين الايوبي النصارى 74
الوزراء من اليهود والنصارى 76
-ابن النغريلة في الاندلس 76
رسالة ابن حزم في الرد على ابن النغريلة 77
الحكم الذاتي لغير المسلمين 88
الفهرس 92